
علي سالم
عجول متعددة الرؤوس

عجول متعددة الرؤوس

علي سالم

الطبعة الأولى

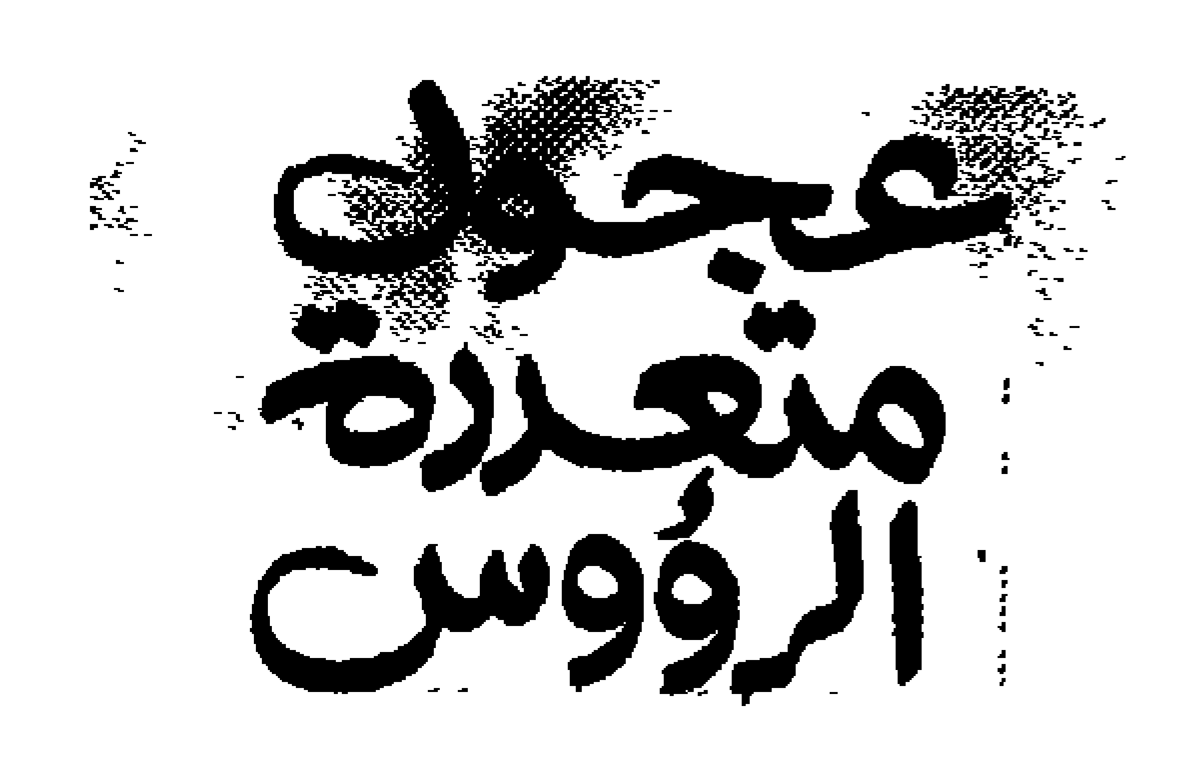
١٤١٤هـ-١٩٩٣م

مطابع ستار برس للطباعة والنشر
٤٠ ش المحولات الكهربائية - محطة المطبعة
الهرم ت : ٨٦٤١٥١

رقم الإيـــداع
٩٣ / ١١٤٤٦
I.S.B.N : 477 - 5193 - 32 - X



مكتبة مدبولي الصغير ٤٥-البطل أحمد عبد العزيز - المهندسين - القاهرة


عجول
متعددة
الرؤوس

مقدمـــة

ستجد فى هذا الكتاب عدداً من العجول، وآخر من العقول تركت لك مهمة التمييز بينهما بعد أن اختلطت العقول بالعجول، وازداد حجم العجول على حساب العقول، وبعد أن خرجت من حظائرها ومراعيها العجول وهبطت على المدينة تسير فى شوارعها وطرقاتها زائحة من طريقها كل ما يقف أمامها أو يعترض طريقها من عقول.

ولعلك تعرف بالطبع، أن العقول عندما تكون كبيرة، تتعب فى مرادها الأجسام. ولكن ماذا يحدث عندما تكون العجول كبيرة، هل تتعب فى مرادها الأجسام؟ أم تسعد فى مرادها الأجسام، باعتبار أنها ستتحول حتماً إلى كباب وكفتة وبفتيك وكباب حلة.

أرى الواقع حولى يقول أن العقول الكبيرة هى التى تتحول إلى زاد للعجول السمينة. وليس لدىَّ اعتراض على ذلك، أنا أعترض فقط -بكل قوة- على حرمان العقول من الفرص المتاحة للعجول، ستجد دائماً من يهتم بمشاريع تربية العجول، ولكن أين هى تلك الجهة التى تهتم بمشاريع تربية العقول للحفاظ على النسبة الطبيعية بينهما فى المجتمع؟

لست أطلب القضاء على العجول، ولكنى أطلب حماية العقول.

فأنا أخشى - نتيجة لأخطاء شائعة فى النطق والهجاء - أن يأتى اليوم الذى نحسب فيه العجول عقولاً فنطعم الاثنين برسيماً.

هناك خطر آخر يلوح لى من بعيد، قرأنا عن عجل ولد برأسين!!.. فما معنى ذلك؟ لقد عانى أصحاب العقول فى المنطقة الكثير من العجول ذوات الرأس الواحدة.. ما العمل عندما تصبح العجول متعددة الرؤوس؟

ليس من المؤكد أن تجد الإجابة على هذا السؤال فى هذا الكتاب ولكنه بالقطع سيساعدك فى العثور عليها.

على سالم

السائرون وراءً

بدأت الظاهرة فى حى المهندسين بالقاهرة، بالتحديد فى شارع جامعة الدول العربية، شاب عابث يقود سيارة سبور صغيرة سار بها فى عرض الشارع إلى الوراء "مارش دير" وعلى الفور قلده بعض الشباب. بعد عدة أيام أصبح التقليد الشائع فى هذه المنطقة التى تزدحم بالبشر حتى الفجر، هو السير بالسيارات إلى الوراء، انتقل هذا التقليد إلى الحناطير والحمير الصغيرة التى تنتشر هناك فى موسم الصيف. يبدو أن الناس كانوا فى حاجة لتقليعة جديدة، إذ انتقلت الظاهرة إلى بقية الأحياء الأخرى، وفى كل يوم كانت هذه الظاهرة تجتذب أنصاراً جددا إلى أن أصبح من يقودون سياراتهم للأمام هم الأقلية إلي درجة أنه أصبح من الشائع السخرية منهم وتوجيه الشتائم لهم، أنا شخصياً سمعت شابا يصيح فى وجه واحد منهم "ماتسوق كويس ياحمار.. بص وراك يامتخلف" وبعد أن أصبح من المستحيل السير بالسيارة للأمام، كان من المحتم أن يسير الجميع للوراء بعد أن كثرت حوادث المرور بسبب هؤلاء

الذين يربكون المرور بإصرارهم على السير إلى الأمام.

انتقلت العدوى للمشاة فبدأ الناس يسيرون بظهورهم وقد لوحوا رقابهم للوراء. وظهر في التليفزيون من يقول في ندوة عن المرور: لقد سار الإنسان ووجهه للأمام آلاف السنين، فماذا حقق من ذلك؟ لا شيء.. جرب أن تسير بظهرك للوراء وستشعر في ذلك براحة كبيرة.

وقال سائق أتوبيس نقل عام في برنامج على الناصية: السير للوراء يشعر السائق بأنه هو والركاب أسرة واحدة، ويعطيه الفرصة لتبادل الأحاديث معهم، قبل ذلك لم أكن أراهم، كنت أرى الطريق فقط أمامي.

- ولكن أليست القيادة للخلف صعبة؟

- في البداية فقط ياست آمال، بعد ذلك ستتعودين عليها وتجدينها مريحة وممتعة.

ركبني العناد وأصررت على السير بوجهي للأمام فاصطدمت بعشرات البشر، وتشاجرت مع الآخرين عدة مرات في اليوم، أما ماجعلني أستسلم في النهاية وأسير بظهري للوراء مثل بقية خلق الله فهي نظرات التأنيب والسخرية التي كنت أراها في أعين الآخرين وأنا أسير ووجهي للأمام، بالإضافة طبعا لتعليقات الاحتقار الهامسة "البلد دي لسه فيها ناس مصرة تمشي

لقدام؟!.. والا يعنى هو خالف تعرف؟!... سيبك منه ياشيخه، تلاقيه عايش فى الأرياف..".

فى اليوم الأول شعرت بآلام فظيعة فى رقبتى بعد أن مشيت لمدة ساعتين ورقبتى ملوية للوراء. يبدو أن كثيرين مثلى كانوا يشعرون بنفس الآلام ولكن لحسن الحظ ظهرت فى الأسواق مراهم مريحة للرقبة بالإضافة لنوع جديد من المدلكين المتخصصين فى تدليك رقاب السائرين للوراء وجعلها مرنة تماماً مما جعل السير للوراء حقاً متعة. استجابت دور السينما والمسرح للظاهرة الجديدة فعدلت وضع الشاشة وخشبة المسرح فيها، بحيث تجلس على مقعدك وتدور أحداث المسرحية وراءك.

ظهرت فى الأسواق ملابس من نوع جديد أقبل عليها الناس، جاكتات وبنطلونات وقمصان فتحاتها من الخلف بحيث يبدو من يرتديها وكأنه يمشى للأمام بينما هو يسير للوراء. لم يتحمل البعض لأسباب صحية ووراثية آلام الرقبة فاستخدموا مرايات عاكسة ركبوها أمام أعينهم على حامل مثبت فى الرأس. بعض شركات إنتاج السيارات قررت صنع سيارات خاصة بالمصريين، الدريكسيون فيها إلي الخلف ولكنها لم تلق إقبالاً من الناس لأنها فى النهاية سيارة طبيعية، التعديل فيها فى الشكل فقط، بمعنى إنك تنظر للأمام وأنت تقودها، وبذلك تفقد لذة الشعور بالسير للوراء.

أفادت بعض التقارير أن بعض الناس ينتهزون فرصة خلو بعض الشوارع من المارة عند الفجر، وفى الأماكن النائية ويسيرون وهم ينظرون للأمام، فطالب بعض الكتاب من الحكومة والمعارضة بسن قانون جديد لمعاقبتهم لإعاقتهم السيرة للوراء. ولكن صُرف النظر عن إصدار هذا القانون بعد أن اتضح أن عددهم قليل جداً وأنهم سيندثرون بمرور الزمن.

بعض هؤلاء السائرين للأمام علقوا على ظهورهم لافتة صغيرة كتبوا عليها "أنا عاجز عن المشى بظهرى.. أجريت عملية فى رقبتى، عفواً أنا فى التليين" هذه اللافتة استغلت استغلالاً سيئاً من بعض المحتالين من هواة السير للأمام فصدر قرار باعتماد هذه اللافتة من القومسيون الطبى العام والحصول على شهادة من مكتب الصحة التابع له المواطن بأنه يعانى فعلاً من متاعب صحية فى رقبته تمنعه من النظر إلى الخلف، ولكن - ككل الظواهر الجميلة فى حياتنا - لابد أن يفسدها البعض فقد تم القبض على عدد كبير من المزورين يقومون بتزوير هذه الشهادة، فصنعتها وزارة الصحة من البلاستيك الذى لا يمكن تزويره ومع ذلك استمرت عملية التزوير بواسطة بعض ضعاف النفوس.

اشترك فريقنا للجرى الورائى فى عدة مسابقات عالمية فاكتسح الجميع وانشغلت مراكز الأبحاث بهذه الظاهرة وقال معلق رياضى مذهولاً: بالرغم من أننى على دراية كافية بعضلات

الجنس البشرى غير أنى لم أكن أعرف أن الجسم البشرى مؤهل للجرى للوراء بهذه السرعة.

وفى الأدب ظهرت نظرية نقدية جديدة أسمها "الورائية" وعرض المسرح القومى مسرحية ناجحة اسمها "أنظر وراءك فى عبط" نجحت نجاحاً ساحقاً. بشكل عام كانت الصيحة فى الأدب والفن والثقافة هى "هات ورا.. هات". ظهرت حركة فنية لإحياء التراث القديم بعد تعديله، كل الأغانى التى تتكلم عن الغد أو المستقبل تم تحويرها بحيث تتكلم عن الأمس ثم أعيد تسجيلها بأصوات جديدة مثل أغنية "كلمنى عن بكره وابعد عن إمبارح" تحولت إلى "كلمنى عن امبارح وابعد عن بكره" أما أغنية "ياมواعدنى بكرة" فقد أصبحت "ماجيتش فى ميعادك امبارح ليه؟" كما ركزت الإذاعة على كل الاغانى التى تبدأ بالفعل الماضى مثل "ظلموه.. سمعت صوتاً هاتفاً فى السحر.. شفت حبيبى وفرحت معاه.. أنا حبيتك فى الأول.. لا أنا حبيتك الأول.. جددت حبك ليه؟.. هلت ليالى القمر.. مريت على بيت الحبايب.. الخ".

أما الأغانى التى تفيد الحاضر مثل "ساكن فى حى السيدة" فقد أضيفت لها كلمة واحدة فى المونتاج فأصبحت "كنت ساكن فى حى السيدة وحبيبى كان ساكن فى الحسين، ويوماتى كنت أروح له مرتين" وفى السياسة ظهرت حركة قومية لإحياء ذكرى ومبادئ الزعماء القدامى فظهر الأحمسيون أتباع الزعيم أحمس

الذى طرد الهكسوس وظهر الميناويون أتباع مينا موحد القطرين والحتشابسوتيون والعرابيون واستطاعت كل مجموعة أن تنتزع من الدولة يوم عطلة رسمية مدفوع الأجر ثم أغلق هذا الباب بعد أن اتضح أن المناسبات العظيمة فى هذا البلد أكثر من عدد أيام السنة وأننا إذا احتفلنا بها جميعاً فلن نعمل يوماً واحداً.. وهذا أمر مسئ لنا جداً أمام الأجانب.

هل كان ذلك الشاب العابث الذى قاد سيارته مسرعاً للوراء فى شارع جامعة الدول العربية، هل كان يعلم أنه سيتسبب فى إحداث كل هذه المتغيرات أم أننا جميعاً كنا نمتلئ بالرغبة والشوق للمشى للوراء فجاء هو وأشعل الشرارة، سؤال أتركه لاجتهادات المؤرخين.

القطة اتكلمت

قصة غريبة تتحدث عنها الشرقية. فى قرية ميت ربيعة مركز بلبيس، توجد قطة تتكلم إلى صاحبتها الفتاة، الفتاة أكدت أن القطة تقول عدة كلمات مثل ماما وبابا ولا ونعم. الناس فى قرية ميت ربيعة تتحدث عن هذه الظاهرة الغريبة.. وذهبت "الأخبار" إلى منزل الفتاة التى رفضت أن تقدم لنا القطة لمشاهدتها، ونحن لا نعرف ما إذا كانت هى مجرد قصة غريبة أو أوهام!"

هذا هو الخبر الذى نشر فى الصفحة الأولى وأثار اهتمامى بقوة، ليس لأن القطط لا تتكلم، فأنا شخصياً أعرف حيوانات أليفة كثيرة.. تتكلم وتكتب وتحاضر وتُنشر أخبارها أيضاً فى الصفحة الأولى.

المثير فى الخبر هو الإهمال فى الحرفة، حرفة الصحافة. لقد ذهبت المحررة إلى منزل الفتاة فرفضت أن تريها القطة لإجراء حوار معها دون أن تفطن لسبب الرفض، وهو ببساطة عدم تقديمها أجراً عن الحديث.. إن الحديث المجانى مع المصادر يكون

فى حالة البشر فقط، فأنا مثلاً أتكلم فى الإذاعة مجانا وأتكلم مع المحررين فى كل جرائد"ومجلات المنطقة العربية، بل والأجنبية مجانا، ولكن القطط - وخصوصاً المتكلم منها - أكثر ذكاء من البشر، لابد أن تحصل على مقابل مادى ملموس عندما تدلى بحديث لأى صحيفة. ولعل السبب فى ذلك هو ضعف الميزانيات فى الجرائد القومية، والذى يحرمها من الخبطات الصحفية الهامة ويحرم قراءها من التعرف على آراء القطط فى تلك اللحظة التاريخية النادرة التى تتكلم فيها. ولكن وكالات الأنباء الأجنبية تتحرك بسهولة من خلال ميزانيات كبيرة تتيح لها القدرة على الحركة بسرعة وقوة لإغراء مصدر الخبر على الحديث بكل الطرق، هذا هو بالضبط ما حدث بالنسبة لمراسلى الـ C. N. N ووكالة رويتر ووكالة الأنباء الفرنسية. بمجرد أن تسرب لهم خبر القطة الناطقة عقدوا اجتماعا مشتركا لدراسة الخبر ومناقشة دلالته، ورصدوا من أجل ذلك مبلغاً كبيراً من المال تمت الموافقة عليه على الفور من رؤسائهم. وفى لحظات استخرجوا من الكمبيوتر كل الوقائع المشابهة فى تاريخ مصر، وخصوصاً التى تكلم عنها الجبرتى، فوجدوا واقعتين، الأولى عن حائط تكلم والثانية عن معزة تكلمت.

وفى الوقت الذى كانت فيه مندوبة "الأخبار" تنصرف من بيت الفتاة صاحبة القطة بعد أن فشلت فى مهمتها، كانت قافلة

المراسلين الأجانب تدخل القرية ومعها مندوب من اليونسكو له خبرة سابقة فى التحدث مع الحيوانات والطيور والرمل والودع.

يبدو أن أهل القرية كانوا يتمتعون بحاسة شم قوية فقد أدركوا على الفور أن المراسلين الأجانب سيدفعون مبلغاً محترماً فى مقابل الحديث، لذلك فوجئنا بهم وقد وقف كل منهم أمام باب داره يصيح مرحباً بنا: اتفضلوا يابهوات.. عندنا حمار بيتكلم ويقول حا.. اتفضل ياخواجه.. عندنا وزة بتتكلم وتقول كاك.. عندنا جاموسة بتقول عا..

فكنت أعتذر لهم بأدب متعللا بأننا مكلفون بالحديث مع قطة معينة تقول بابا.. ماما.. ونعم.. ولا. اتفقت مجموعة المراسلين على تعيين السيد HARSH MOKH "هرش مخ" رئيساً للبعثة الإعلامية ومتحدثاً رسمياً مع القطة، أمام منزل الفتاة نصبت الكاميرات وأعدت أجهزة التسجيل وطرقنا الباب فخرجت لنا الفتاة. قمت بدور المترجم بين المراسلين وبينها. وقلت لها: اسمعى يابنتى.. لن نسبب لك إزعاجا.. ولا للقطة.. اتفضلى، آدى خمسة آلاف جنيه مقابل الحديث الصحفى والتليفزيونى بوصفك صاحبة القطة.

قالت الفتاة: حسنا.. هذا هو أجرى.. أين أجر القطة؟

على الفور أخرجت من السيارة نصف نقل التى تصحبنا عدة

كيلو جرامات من السمك البورى المشوى بالإضافة لكمية من الكابوريا والجمبرى والسُبيط، وهنا أخذت القطة تتقافز فى مكانها في سعادة ولكنى أعدت كل شئ إلى السيارة، فمن خبرتى السابقة أدركت أن هذه القطة إذا أكلت الآن وشبعت فلن تقول حرفا واحدا. لذلك قررنا أن نؤجل إعطاءها السمك والكابوريا والجمبرى لما بعد "الانترڤيو" أقصد اللقاء الصحفى.

طلبنا من الفتاة أن تحدثنا عن القطة فى سطور قليلة لتقديمها للمشاهدين فى العالم فقالت: قطتى صغيرة واسمها نميرة، نطقها يسلى وهى لى كظلى.

كان السؤال الأول هو: من السهل على أى حيوان بالتدريب الجاد أن يقول ماما وبابا ونعم، أما الأمر الغريب والجدير بالاهتمام فهو أنك علمتيها أن تقول لا.. لماذا؟

- لكى أعلمها الرفض، الرفض الواعى هو قمة النبل الحيوانى.. كثيرون من أهل القرية يقولون لها بِسْ.. يقولونها لها فى فظاظة.. لذلك كان يجب أن أعلمها أن تدافع عن نفسها وتقول.. لأ.. مش حابس.

وهنا قال لها رئيس البعثة: من المحزن أن مشاهدى برامجنا لا يعرفون اللغة العربية.. ألم تعلميها عدة كلمات من اللغة الإنجليزية؟

- هى تتكلم اللغة الإنجليزية ياسيدى.. هى فى مستوى طالب الاعدادية.

- معنى ذلك أننا نستطيع الحديث معها باللغة الإنجليزية؟

- طبعاً، اتفضلوا.

وهنا استدارت للقطة وقالت لها: بوسى.. الجماعة دول أصحابى.. وعاوزين يكلموكى بالإنجليزى.. بلاش شقاوة.. عاوزاكى تردى عليهم بأدب.

فأخذت القطة تحدق فى وجوهنا وهى تنقل بصرها بيننا وبين الكاميرات، ثم ركزت نظراتها على أحد المراسلين وقالت: داوود..

شعر المراسل بالفزع، كان اسمه فعلاً داوود، كيف عرفت ذلك؟ فهمنا من كلمتها أنها تريد من مستر داوود أن يوجه لها الأسئلة.

فسألها: هل تعتقدين أن الوقت مناسب لإعادة النظر فى الإعلام المصرى كله أم أنه من الأفضل تأجيل ذلك لعدة شهور؟

هنا أجابت القطة بحزم: Now.

- ولكن ياعزيزتى، ذلك يتطلب تغيير منهج الإدارة نفسه وبالتالى اختيار مقاييس أخرى للعمل وللبشر.. الا ترين معى أن ذلك فى حاجة لبعض الوقت إلى أن يتم دراسة..

قاطعته القطة فى غضب: ..Now

– أنتقل الآن للسياسة والاقتصاد.. العالم كله يتجه للحرية السياسية والاقتصادية، هل ترين أنه من الأفضل أن نتحرك فى هذا الإتجاه على مهل؟

أجابت: .Now, Now, Now

وهنا همس فى أذنى أحد المراسلين: إذن الخبر الذى نشرته الأخبار صحيح.. إنها تقول Now بوضوح شديد.

فى تلك اللحظة صاح واحد من أهالى القرية: كوسة.. الإعلام الغربى متحيز للقطة دى.. عندنا قطة بتعرف إنجليزى أحسن منها..

لم يرد عليه أحد، بصراحة كنا مسحورين ببلاغة القطة ووعيها السياسى، قلت لها: يابوسى.. تحبى تاكلى السمك دلوقت.. والا نخليه لبكرة؟

فأجابت: .Now

أذيع حديث القطة من القرية على الهواء مباشرة عبر الأقمار الصناعية فأثار اهتمام المشاهدين فى العالم كله. جئت لها بالسمك فأخذت تأكله فى وقار، وفى طريقنا خارجين من القرية فوجئت بواحد من أهالى القرية يحمل كلباً صغيراً، فسألته: هل

يتكلم هو الآخر؟

- نعم.

- تقصد أنه يقول هاو.. هاو؟

- لا تسخر منى ياسيدى.. كل الكلاب تستطيع أن تقول هاو.. هاو.. أما كلبى فقد علمته أن يقول كلمة جديدة فى غاية الأهمية.

- ما هى؟

- هـأ.. أ.. أ.. أ.. و.

فى أثناء عودتنا من القرية إلى القاهرة سألنى أحد المراسلين: ما معنى هاأأأو..

فأجبته: هى كلمة من اختراع المصريين، يعبرون بها أحيانا عن أنواع من المشاعر تفشل فى وصفها أو التعبير عنها كل الكلمات فى كل لغات العالم.. ولكن قل لى.. مارأيك فى حديث القطة؟

فأجاب: هـأ.. أ.. أ.. أ.. و.

انت تبع الهيئة؟

لا أحد يصدقنى بالرغم من أننى أكذب بما فيه الكفاية. لذلك قررت أن أقول الحقيقة، حقيقة ما يحدث لى وللآخرين وما أراه وما أسمعه. ليس طمعاً فى أن يصدقنى أحد، فقد تخليت نهائياً عن هذا الطلب المستحيل، ولكن لأستمتع أنا نفسى بقول الصدق.

لن أخفى شيئاً، سأذكر الحقيقة، كل الحقيقة ولا شىء غير الحقيقة. غير أننى بدافع من الضعف البشرى سأحرص على حذف بعض التفاصيل الصغيرة التى لا تأثير لها على جوهر الحقيقة، حرصاً على سمعة أصدقاء ومعارف أعزاء مازالوا – للأسف – أحياء.

كانت البداية عندما دخلت بسيارتى الفيات القديمة محطة بنزين قريبة من ميدان سفنكس بحى المهندسين، شممت رائحة عدس نفاذة، لابد أن أحد العمال يأكل شوربة عدس أو لعله عدس مطبوخ. ولكن الرائحة كانت قوية وطاغية مما يعنى أن مطعماً شعبياً جديداً يقدم العدس قد افتتح بالقرب من المحطة، فى

الغالب هو ملاصق لها، اقتربت من الطلمبة واعطيت العامل مفتاح التنك فسألني: سادة.. والا بشعرية؟

* نعم..؟

فكرر الجملة بعناية وهو يضغط على حروف كلماته: حضرتك عاوز تمون شوربة عدس سادة.. والا شوربة عدس بالشعرية؟!

أعجبتني النكتة ولولا أنني كنت في حالة مزاجية سيئة لضحكت على الفور، على الأرجح الفتي يعرف أنني كاتب فكاهة فقرر أن يداعبني. من المستحيل أن يتصور القراء أن كتاب الفكاهة دمهم ثقيل ويكرهون الدعابة، لذلك قلت له ببرود: ده أنت رايق قوي.. خلصني.. فل تانك بنزين ٩٠.

* ليس لدينا بنزين.. لدينا شوربة عدس.

حدقت في ملامح وجهه. كان جاداً تماماً، هو مجنون إذن، قال في ضيق: خلصني من فضلك.. وراك عربيات كثير.

صحت فيه في غضب: مالك يابني؟!.. أنا عاوز بنزين ٩٠.

* قلت لك عندي شوربة عدس بس.

- أنت اتجننت؟!

قال في شبه تهديد: ممكن تمشي من فضلك.. أو تركن على جنب.

ركنت السيارة فى ركن بعيد ودخلت على مدير المحطة وهو صاحبها وصرخت فيه: إنت موقف واحد مجنون على الطلمبة؟!

هدأنى الرجل وقال فى يأس: إنت خامس زبون يتخانق النهارده.. للأسف هو ليس مجنوناً.. سيادتك لا تقرأ الصحف.. وبالتأكيد أنت لم تقم بتعديل الكاربراتير فى سيارتك.

- أعدّله ليه؟.. وعشان ايه؟

* تعدله لكى يصلح لتقبل العدس كوقود جديد.

- العدس لا يصلح وقوداً للسيارات.

* لماذا؟.. العدس قادر على إعطاء الإنسان طاقة كبيرة، وهو أيضاً سيولد نفس الطاقة فى موتور السيارة.

- ولكن موتور سيارتى مصمم على استخدام البنزين.

* يبقى العيب عندك أنت، كان يجب أن تذهب للشركة أو للميكانيكى لإجراء التعديلات المطلوبة.. لن تكلفك أكثر من خمسين جنيهاً.. فى الوقت الذى ستوفر فيه أكثر من مائة جنيه فى الشهر فرق السعر بين البنزين والعدس.

- ولكن لماذا؟.. لماذا كل ذلك؟!

* المسألة ببساطة أننا سنصدر البنزين كله وبجزء بسيط من ثمنه سنستورد عدساً يكفى لكل الاستهلاك المحلى.. ونتمكن

أيضاً من القضاء على التلوث.

نظرت من الجدار الزجاجى الذي يفصل مكتبه عن المحطة فوجدت السيارات كلها تمون فى هدوء ثم تنطلق بعيداً، حتى الآن أنا لم أصدق حرفاً واحداً مما قيل. خرجت من المكتب وذهبت إلى الطلمبة ودققت النظر فى فوهة الخرطوم، عدس، نعم، شوربة عدس.. كان العامل يملأ خزانات السيارات بالعدس.

قال لى العامل مبتسماً: صدقت؟ الميزة الوحيدة هى أنه غير قابل للأشتعال.. هو أكثر أماناً من البنزين. لذلك تلاحظ أننا جميعاً ندخن بلا خوف.

سألته: إذا كان غير قابل للأشتعال.. فكيف يكون قابلا للاحتراق داخل الموتور؟

رد فى بساطة: وهل العدس يشتعل داخل جسم الإنسان؟.. هو يحترق فقط.

عدت للسؤال: وماذا عن الزيوت والشحومات؟.. هل مازلتم تستخدمونها.. أم أنكم تستخدمون شوربة الملوخية.. والبصارة..؟

قال العامل فى استياء: أشتم فى كلامك ياسيدى رائحة السخرية.. كما لو كنت أنا المسئول عن تغيير الوقود.. لا ياسيدى الفاضل.. نحن نستخدم نفس الزيوت ونفس الشحومات فقط أضيف إليها، بهريز الكوارع.. فأصبحت أكثر قوة ومرونة

وزفلطة.

مرة أخرى عدت لصاحب المحطة، كنت قد فقدت أعصابى بالفعل، صرخت فيه: لماذا الاختراعات؟ لماذ تفعلون أشياء لا يفعلها أحد على الأرض؟

* هل ترفض أن تكون لنا خصوصياتنا، وشخصيتنا المستقلة؟ هل لابد أن نقلد العالم فى ما يفعله؟ لماذا لا تطلب من العالم أن يقلدنا؟! ولماذا لم تفكر فى مزايا الوقود الجديد؟.. على الأقل تستطيع إذا جعت وأنت تقود سيارتك فى ليالى الشتاء الباردة، أن تسحب من التنك طبقاً ينعشك أثناء القيادة.. أنا أنصحك أن تذهب الآن إلى أقرب ورشة وتقوم بتعديل الكاربراتير، لا داعى لمقاومة التطور.

ذهبت إلى الميكانيكى فقال لى: أنا أنصحك بعدم استخدام شوربة العدس.. لقد أفسدت مواتير كثيرة.. هناك محطات فيها بنزين.

- أين هى؟

* لا أعرف.. ولكن هناك زبائن كثيرين يمونون منها.. كل السيارات الفخمة لا تستخدم شوربة العدس.. أنت نفسك لو غمزت العامل فى المحطة بمبلغ معقول سيخلق لك بنزيناً من تحت الأرض.

عدت للمحطة، أشرت للعامل من بعيد فجاءني مسرعاً، قلت له في شبه توسل: أعترف أنني مخطئ لأنني لم أركب الكاربراتير الجديد، أقسم لك أنني سأركبه في أول فرصة، هل ممكن أن تملأ لي السيارة بنزيناً؟

أخرجت ورقة بعشرة جنيهات ودسستها في جيبه فقال هامساً: ما كان من الأول.. روح على الطلمبة الأولانية الشمال.. وقل للعامل أنا تبع الهيئة.

– هيئة إيه؟

* قل له كده وبس.. وأوع تموّن عدس.. كل المواتير اللي مونت عدس باظت، وأصحابها اضطروا يغيروا التنكات ويعملوا عمرة جديدة للموتور ورجعوا للبنزين تاني.

– بيجيبوا بنزين منين؟

* كل حاجة موجودة يابيه.. بس قول أنا تبع الهيئة.

ملأت خزان السيارة، ومضيت مذهولا أفكر فيما حدث، فوجئت بالشارع القادم من ميدان سفنكس إلى شارع النيل مسدوداً بالسيارات، في الغالب هناك موكب رسمي سيمر من شارع النيل، نزلت من السيارة ومشيت إلى شارع النيل، فوجئت بعدد كبير من العمال يرتدون ملابس صفراء ومعهم مناشير كهربائية يقطعون بها الأشجار. لم أتمالك نفسي وصرخت فيهم:

يابنى بتعمل إيه أنت وهو؟

* فيه طيارة معدية يابيه.

أشار لى أحدهم بيده إلى طريق النيل أمام مستشفى العجوزة، كانت هناك طائرة بوينج ضخمة تجرها عربة كارو، كان لابد بالفعل من قطع الأشجار لكى لا تصطدم بجناحى الطائرة. ارتسمت فى ذهنى على الفور صورة لما حدث، لقد اشترى أحد تجار الخردة هذه الطائرة القديمة ولم يخردها فى المطار، لابد أنه ادخرها لمشروع جديد لذلك نقلها بحالتها.. ولكننى فوجئت بالطائرة جديدة تماماً، سألت المهندس المرافق لها فأجابنى باقتضاب: مهندس الصيانة متخانق مع زملائه فى الشركة.. وأقسم بالطلاق أنه لن يذهب إلى الورشة فى المطار.. كان لابد أن يفحص الطائرة ويوقع على صلاحيتها للطيران، لذلك رأينا حلاً للإشكالات ومنعاً للمشاكل أن نذهب بالطائرة إليه فى المنزل.

- وهذه الأشجار المقطوعة؟.. وعطلة الطائرة.. وعطلة الناس.. وعطلة المرور؟

* مفيش عطلة ولا حاجة.. هى ساعة زمن بالكثير وكل واحد يشوف مصلحته.

وأنا فى طريقى عائداً لسيارتى اشتريت الجرائد لكى أستعين بها على تمضية الوقت، بعد أن جلست فى السيارة أكتشفت أن

الجرائد بيضاء، البائع الغشاش، لقد أفلتت بعض الجرائد من حروف المطبعة وخرجت بيضاء من غير سوء أقصد من غير كتابة، عدت للبائع وألقيت بالجرائد فى وجهه: ياراجل ياغشاش.. أنت بايع لى ورق أبيض.

رد بهدوء: كلها كده ياسعادة البيه.. بص شوف..

أشار إلى الفرشة ثم أشار إلى أصحاب السيارات الذين جلسوا فى سياراتهم يتسلون بالقراءة.. كانت صفحاتها بيضاء بالفعل.. ماذا يقرأون إذن؟

استعدت الجرائد من البائع وجلست خلف عجلة القيادة، ثم أخذت أتصفحها، الغريب فى الأمر أن درجة استمتاعى بها كانت تتزايد وأنا أحدق فى الصفحات البيضاء.

العربة الماضية

فجاءة يظهر تعبير جديد يصنعه ويطلقه العقل الجمعى البشرى، فنشعر بالدهشة عندما نسمعه للمرة الأولى ثم نستخدمه نحن أيضاً فى حوارنا اليومى دون أن نشغل البال فى التفكير فى أبعاده ومعناه، من تلك التعبيرات الشهيرة الجملة التى يستخدمها سائقو التاكسى: أنا عاوز عربية ماضية تحت رجلىّ.. أو لازم العربية تبقى ماضية.

فكرت كثيراً فى هذه الكلمة "ماضية" وفى استخدامها كوصف للسيارة. لماذا لم يستخدم العقل البشرى الجمعى كلمة سليمة، أو صالحة للأستخدام؟ أو قوية.. لماذا ماضية؟ انشغلت بالتفكير فى مشتقات الكلمة وأصلها، هل هى ماضية من الإمضاء بمعنى التوقيع أو ماضية من المضاء بمعنى الحدة والصلابة، مثل مضاء العزيمة، ومثل سلاح ماض، أم هى ماضية بمعنى المضى أى السير، نحن نقول، مضى الرجل فى طريقه، مضت الأيام، مضت السيارة فى رحلتها.. إمض قيس.. إمض.. أم هى ماضية بمعنى أنها تابعة للماضى؟

لا تندهش عندما أقول لك أن كلمة ماضية عندما تستخدم فى وصف سيارة فهى تعنى كل ذلك. هى جماع كل تلك الصفات. هى ماضية بمعنى أنها وقعت على اتفاق، وماضية بمعنى أنها تسير، وماضية بمعنى العزم والقوة وماضية بمعنى أن كل ذلك ينتمى للماضى، أى تم التأكد منه فى السابق. هذه هى عبقرية العقل الجمعى عندما يختار لفظا يحمل بين ثناياه صفات عديدة فى تلخيص وتكثيف معجز.

ولكن ما معنى أنها ماضية من الإمضاء؟ هل وقعت السيارة على اتفاق مع قائدها؟

إذا تذكرنا أن التوقيع هو التعهد والموافقة والتسليم والالتزام بتنفيذ ما أتفقت عليه الأطراف، كان معنى ذلك أنها ملتزمة بتنفيذ اتفاقها معك، أنت طرف أول وهى طرف ثان، إنه العقد الميكانيكى. وهو شبيه من وجوه عديدة بالعقد الاجتماعى. إذا ضغطت على دواسة البنزين ستنطلق للأمام بسرعتها مالم تكن هناك وساخة فى التنك أو الكاربراتير، إذا ضغطت على دواسة الفرامل ستتوقف، العجلات ستستجيب لأى حركة منك بواسطة الدريكسيون، ستطيعك تماماً، المساعدون سيمتصون الصدمات، كل أجزاء موتور السيارة، كل دوائرها ستعمل فى انسجام تنفيذاً لاتفاقها معك فى حالة واحدة.. أن تكون ماضية.

ولكن ماذا عن التزامك أنت كطرف ثان؟

عندما يتسخ الكاربراتير لابد أن تنظفه، عندما تفقد الزيوت والشحوم صلاحيتها عليك أن تغيرها، عندما يبلى طاقم الكهرباء عليك بتغييره، عندما يتوقف أى جزء عن العمل بكفاءة عليك أن تصلحه أو تغيره. إذا لم تفعل ذلك فستتسحب هى من اتفاقها معك، ستشطب إمضاءها، لن تكون سيارة ماضية.

كنت أفكر فى ذلك وأنا فى طريقى لصديقى عثمان الميكانيكى فى ميت عقبة ليكشف لى على الفرامل، كشف عليها وقال لى: ماستر الفرامل عاوز يتغير.

- أنت تريد تغيير كل شى فى السيارة ياعثمان.. لماذا لا تصلحه؟

أجاب وهو يشد نفسا طويلا من المعسل: عند درجة معينة من التلف يصبح المزيد من الإصلاح خطرا...

- إسمع ياعثمان، لست أرى أن ماستر الفرامل فى حاجة لتغيير.. هناك شئ آخر.. أن يطلب منى ميكانيكى أو عدة ميكانيكية تغيير شئ فليس معنى ذلك أن أقوم بتغييره..

- أوافق على هذه المنطق.. السؤال هو.. من هو هذا الميكانيكى الذى يطلب منك تغيير قطعة الإكسسوار هل هو غبى..؟ هل هو لص؟. هل هو جاهل لاخبرة له؟ هل يفتقر لروح

المسئولية؟ هل هو ناضج مسئول؟ أضف إلى ذلك، أننى أنا شخصياً لا أريد تغيير شئ، ماستر الفرامل نفسه هو الذى يريد أن يتغير، فلا تحولها لمعركة كلامية بين ما أريده أنا وما تريده أنت.. المهم هو ما تريده السيارة.. الفرامل هى التى تطلب تغيير الماستر.

– ولكن الفرامل تعمل ياعثمان.. تعمل بكفاءة..

– أنت ترى أنها تعمل بكفاءة، لأنك تريد أن تظن ذلك.. لأنك زبون.. أما أنا فميكانيكي..

– قد نختلف فى معنى الكفاءة ياعثمان وفى مستواها ولكنها تعمل والسلام، وتستجيب لى ببعض المجهود..

– لابد أن تكون العربة ماضية تحت قدميك، بمعنى أن تعمل بالمجهود الطبيعى المطلوب للقيادة.. الحد الأدنى من المجهود، بغير ذلك ستشعر بتوتر أثناء القيادة، توتر وحذر وحرص أكثر من اللازم عند ذلك ترتكب أخطاء فى القيادة أنت لست فى حاجة إليها.

– ماذا سيحدث إذا لم أغير ماستر الفرامل؟

– الله وحده يعلم، قد لا يحدث شئ وقد يحدث أى شى.. هذا يتوقف على الحظ.

- أنا محظوظ كما تعلم.

- من الخطأ والخطر الاعتماد على الحظ فى قيادة السيارة، فلا أحد يعرف متى يغير الحظ مساره ويعمل ضدك، قد تأتى لحظة، فى جزء من الثانية، لابد من التوقف فوراً ثم الانحراف يمينا أو يسارا للإفلات من عقبة تظهر أمامك فى الطريق ثم العودة بسرعة البرق للطريق السليم، إذا لم تكن العربة ماضية تحت رجليك، لن تستطيع القيام بكل ذلك.

ياعثمان، هذا يحدث عند قيادة السيارة بسرعة جنونية.. كما تعلم أنا سائق عاقل ومتزن.. أطلب من صبيانك أن يزودوا الزيت وأن يكتفوا بأخذ الهواء من الفرامل.

عاد عثمان للشيشة وأخذ يرص نيرانها فى هدوء وقال: سنفعل كل ذلك.. ولكن اسمح لى أن أضايقك بأن أقول لك ماستر الفرامل عاوز يتغيير..

أصارح القراء بأننى ككل المثقفين فى مصر لا أطيق أن يكون لى رأى خاطئ فى قضية ما، لذلك قررت أن أثبت لعثمان أننى قادر على قيادة هذه السيارة بحالتها عشرة أعوام أخرى على الأقل، بعدها أقوم بتغيير الماستر إذا تطلب الأمر ذلك.

ولكى أثبت له أننى لست ضد تغيير الأجزاء التالفة بوجه عام، فقد غيرت فرش السيارة، وغيرت لونها، وركبت لها شبكة جديدة،

وإكصدام جديد، كما غيرت الأبلاتين واشتريت بطارية جديدة وركبت مساعدين جددا.

الواقع أن الفرامل تعمل بكفاءة بشرط المزيد من الحرص أثناء القيادة. ذات يوم، قررت الذهاب، إلى الاسكندرية بالطريق الصحراوى، كان الطريق خاليا ومع ذلك التزمت بالسرعة المقررة بل أقل منها، المجهود العصبى الناتج من الحرص والحذر الشديدين تحول فى لحظة إلى نوع من الاسترخاء، سأقضى ساعات منعشة فى الاسكندرية، رطوبة المساء منعشة، الطريق خال، لا يوجد رادار، سرحت، السرعة أيضا ممتعة، ليت السيارة ماضية تحت قدمى، إذن لأسرعت أكثر من ذلك، ولكن لا بأس، هى حتى الآن ماضية بما فيه الكفاية، فجأة ظهر أمامى على بعد عدة مئات من الأمتار جسم أسود كبير، فى الغالب هى سيارة نقل تسير ببطء وسط الطريق، لا توجد مساحة كافية للمرور من يمينها أو يسارها، سأضغط على الفرامل لأبطئ سرعتى، المسافة بينى وبينها كافية للتوقف، أضغط الآن على الفرامل تذكرت الآن أن السيارة ليست ماضية، شعرت برغبة مفاجئة فى النوم، بل لعلى نمت فعلا، شعرت بأننى خفيف جدا وأنا أصعد لأعلى، استطعت أن أتبين أثناء صعودى، ملامح الطريق الصحرواى كله، ثم وجه بحرى كله، لابد أننى أصعد بسرعة فأنا أرى وادى النيل ثم أفريقيا ثم القارات كلها، ها أنذا أرى الكرة الأرضية تدور فى

حجم البرتقالة وقد انعكست عليها أضواء النجوم المتلألئة.

صغر حجم الأرض تدريجياً وأنا أواصل الابتعاد عنها إلى أن اختفت، أنا أسبح الآن فى طريقى لمكان ما بين الأكوان والأجرام السماوية الجميلة، شعرت براحة لا توصف، هل هذا النوع العذب من الراحة هو نفسه الذى يسمونه الراحة الأبدية؟!

كنت على حق عندما رفضت تغيير ماستر الفرامل، كيف كنت سأشعر بكل هذا الجمال المنبعث من أضواء النجوم وأنا أسبح بينها.

تـوت تـوت

محطة مصر بالإسكندرية هى واحدة من أكـبـر مـحطات السكك الحـديدية فى المنطقـة العـربيـة، ولا تفـوقـهـا ضـخـامـة سوى مـحطة مـصر بالقـاهرة، وهـى مزدحمـة بالبشـر طوال الليل والنهار وخاصة فى ذلك الوقت من كل عـام حـيث يسـافـر منهـا ويصل إليها عشرات الآلاف فى كل دقيقة.

تحت عنوان "لا مبالاة" نشرت زميلة صباحية خبرا تقول فيه أن ثلاثة من مواطنينا الصـعـايدة الأشـداء نزلوا من القطار وهـم يحملون شخصا مقيد القدمين واليدين بينما هو يصرخ مستغيثاً طالبا النجدة ولكن أحداً من الآلاف الموجودين بالمحطة لم يلتفت لصـرخـاته. اخـترق الثلاثة المحطة ثم خـرجـوا منهـا ليـذوبوا فى المدينة السـاحليـة الجـمـيلة التى بناها القـائد الشـهـم الاسكندر المقدونى الذى تسـمـيه كـتب التـاريخ العـربى "ذو القـرنين" وهـى الصفة التى يبدو أنها قد انطبعت بقوة فى أذهان كل الموجودين فى المحطة أثناء مشاهدة تلك الواقعة.

لم يتطوع مخلوق بسؤالهم أو الاستفسار منهم عن حكاية ذلك

الشخص المربوط الذى يحملونه على أكتافهم، وهذا أمر طبيعى تماما، فعندما تكون مسافرا لقضاء عطلتك الصيفية أو عائداً منها فمن المؤكد أنك ستحرص على عدم إضاعة دقيقة واحدة من وقتك للاهتمام بشخص مربوط عاجز عن الحركة يحمله ثلاثة من الأشخاص الأشداء ولكن السؤال هو: أين كان رجال الأمن فى المحطة؟ أين رجال الشرطة السرية والعلنية؟ ولأننى مغرم بالتعرف على آليات العقل البشرى فيما يسمونه "عملية التفكير" لذلك بدأت أستعرض فى ذهنى المعانى والصور والأخيلة التى دارت فى عقول البشر فى تلك اللحظات التى لا تنسى. من المؤكد أن العقل البشرى فى هذه الحالة سيبحث عن تفسير مريح للضمير، بمعنى أنه سيؤلف قصة قصيرة تشعره بالراحة لعدم التدخل. لو أننى كنت هناك لفكرت على النحو التالى:

من المستحيل أن يكون هؤلاء الثلاثة مجرمين، ومن المستحيل أن يكون هذا الشخص الرابع ضحية لهم، فليس من المعقول إذا كانوا مجرمين أن يغامروا بالقيام بفعلتهم هذه بوضوح وسط آلاف البشر، فى الغالب هذا خلاف عائلى، هذا الشخص قريب لهم لا يريد أن يصيف فى الاسكندرية، ويفضل التصييف فى مرسى مطروح، ولكنهم الثلاثة يحبونه ولا يطيقون البعد عنه لأنه شخص ظريف يشيع جوا من البهجة سيحرمون منها إذا قاموا بالتصييف وحدهم، لذلك قرروا أن يرغموه على التصييف فى

الاسكندرية.

أو لعلى كنت سأفكر على النحو التالى: هذا شاب زاهد فى الحياة وأمور الدنيا، له عمة غنية فى استراليا، أرسلت إلى أهله تخبرهم بأنها ستأتى إلى الاسكندرية على الباخرة الفلانية ومعها أبنتها الشابة "لوسى" وهى تطلب منهم أن يتزوجها هذا الشاب كشرط للحصول على ثروتها بعد عمر طويل، ولكن الشاب يحب فتاة أخرى من قريته هى "بهانة" وهو من أجل بهانة على أستعداد للتضحية بكل كنوز الأرض، ولكن أهله يعتقدون أنه غبى أو مجنون لذلك لجئوا إلى هذه الطريقة العنيفة لتزويجه من "لوسى؛ بالقوة حتى لا تطير الثروة.. من المؤكد أنه غبى ومجنون.. لماذا تصرخ يا مجنون؟.. حد طايل؟.. خدوه الحمار ده..

أو يجوز أننى كنت سأفكر على النحو التالى: هذا الشاب ضبطه الكمسارى راكبا بدون تذكرة، وعندما طالبه بثمن التذكرة والغرامة المقررة. اعتذر الشاب بأنه لا يملك نقودا ووعد الكمسارى وعد شرف أن يأتى له بالمبلغ المطلوب عندما يصل إلى الاسكندرية، ولكن الكمسارى لم يصدقه وطالبه بضمان، فنظر الشاب حوله باحثا عمن يضمنه، وهنا تطوع هؤلاء الثلاثة فى شهامة بالذهاب معه إلى المنزل وإحضار الفلوس والعودة إلى الكمسارى، ولكن قبل النزول من المحطة بدقائق اكتشف الثلاثة

أن الشاب كاذب ونصاب وأنه كان يراوغ للافلات من دفع ثمن التذكرة، لذلك ربطوه بالحبال وأخذوه إلى منزله ليحضروا النقود المطلوبة.

يخيل لى أن القصة السابقة بعيدة عن التصديق وعلىّ أن أفكر فى قصة أخرى أقرب للعقل، وجدتها.. ما هذا؟.. ثلاثة رجال يحملون شابا مقيد القدمين والذراعين؟.. إنه يستغيث. لا أحد يأبه له أو لهم، آه لقد عرفت، إنها الكاميرا الخفية، ياالكم من خبثاء يا أصحاب برنامج الكاميرا الخفية، طبعا الناس كشفت اللعبة ولم يتدخل أحد، ولكن أين خبئوا الكاميرا يا ترى؟.. آه، فى الغالب هى مخفية فى حقائب هذا الرجل لأ، هى مخبأة مع هذه السيدة البدينة، وأين المخرج، آه يابن الإيه؟! هذا هو المخرج متنكر فى هيئة شيال ويحمل عدة حقائب، لقد عرفته من تظاهره بأنه لا يرى شيئاً مما يحدث.. لأ، ليس هذا هو المخرج، هذا واحد من مساعديه، فى الغالب المخرج هو بائع الكازوزة، لأنه ينظر إليهم مشجعا ويصيح: إشرب ياعطشان.. أنظر، لقد خبأ الكاميرا فى مفتاح الكازوزة، أما السيدة التى تساعده فى البيع فهى فى الغالب نادية الجندى أو لعلها نبيلة عبيد، ياسلام على الماكياج، لقد نجح فى إخفاء ملامحها تماماً... ولكن انظر إلى الثلاثة، أنهم يمثلون دورهم جيدا، حتى الشاب الذى يمثل دور الضحية يصرخ ويستغيث بشكل مقنع تماماً، ولكن على مين؟ لقد ازداد وعى

الجماهير نضجا وأصبح من المستحيل خداعها بمثل تلك الحركات.

وعموماً، حتى لو كانت التفسيرات السابقة غير مقنعة، وحتى لو افترضنا أن هؤلاء الثلاثة ذهبوا بهذا الواحد ليذبحوه... بناقص واحد ياسيدى، عن إذنك عشان الحق القطر.

المظروف المنتفخ

نشرت زميلة أسبوعية أن صحفياً قدم شكوى فى نقابة الصحفين ضد وزارة الإعلام فى المنطقة العربية لأنها قدمت إليه مبلغاً من المال!.. الواقع أننا يجب أن نتصدى بحزم لمثل هذه الأفعال. فلا شئ ينغص على حياتى سوى هؤلاء الذين يصرون على إعطائى مبالغ كبيرة من المال فى كل وقت بلا مناسبة وبلا سبب واضح، واضح لى على الأقل. وهذه الواقعة تذكرنى بواقعة أخرى حدثت لى شخصياً وعانيت من جرائها طويلاً.. فقد كنت فى زيارة لبلد عربى ومررت على وزير الإعلام لأجرى معه حواراً عن مستقبل الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان فى الاتحاد السوفيتى. وبعد أن انتهى اللقاء فوجئت بالرجل يبتسم لى ابتسامة غريبة ويناولنى مظروفاً منتفخاً ظننته فى البداية يحوى نشرات إعلام ودعاية، ولكنى فوجئت أن المظروف - وياللهول- ممتلئ بالدولارات، فقلت له: ما هذا ياسيادة الوزير؟.. فلوس؟ عملة صعبة؟ فقال: هل تسميها فلوس يا رجل؟.. إنها خمسون ألف دولار فقط... هدية صغيرة، فقد ترغب فى شراء بعض

الأشياء للأولاد من السوق الحرة.

أعدت له المظروف بأدب ولكن فى حزم: أرجوك ياسيدى.. نحن لا نقبل الهدايا..

فقال: حتى أعضاء الكونجرس والمسئولين والرؤساء فى أمريكا يقبلون الهدايا..

أجبت: نعم ياسيدى.. فى حدود خمسة وسبعين دولاراً فقط.

ابتسم الرجل وقال: خلاص.. اعتبر أن سبعمائة شخص أعطاك كل منهم هدية مقدارها ٧٥ دولاراً.

قلت له بحزم: سيدى الوزير.. هذا الموضوع لا يتحمل الدعابة.. إن مهنتى هى البحث عن الحقيقة ومعرفتها.. صحيح أنا أفشل فى العثور على مكان ينشرها ولكننى أعثر عليها.. وهذا المبلغ سيكبل عقلى ويمنعنى من البحث عن الحقيقة والعثور عليها، هذا المبلغ عدوان على الحقيقة ياسيدى.. أوكد لك أن مرتبى يكفينى، ولست فى حاجة لمليم من أى مخلوق، إعتبر الموضوع منتهياً عند هذا الحد وأعدك بأننى سأنسى أنك عرضت على فلوساً بالعملة الصعبة.

قال الرجل بحدة: أنت شخص غريب.. هل تعتقد أن الكتاب والصحفيين الأثرياء يتعاملون مع الأوهام فقط؟ وأنهم غير قادرين لثرائهم على العثور على الحقيقة؟

أجبته وأنا أغادر المكتب: لا شأن لى بغيرى ياسيدى.

عدت إلى الفندق ففوجئت بأن المظروف المنتفخ على سريرى، طلبت مدير الأوتيل ومدير الأمن فى التليفون بصوت غاضب، جاءا على عجل قلت لهما بشراسة: من جاء بهذا المظروف إلى هنا؟

اعتذر المدير بأنه سقط سهواً من الخادم المسئول عن تنظيف الغرفة ثم أخذ المظروف وكرر اعتذاره وهو ينصرف قائلاً: أنا آسف ياسيدى.. وأؤكد لك أنك لن تجد فلوساً في الغرفة مرة أخرى سأتأكد من نظافتها وخلوها من الفلوس بنفسى.

غادرت الغرفة بعد ساعة لأشرب قهوة في الكافيتريا، وبينما كنت أركب الأسانسير المزدحم نازلاً إلى الدور الأرضى، شعرت بيد تعبث فى جيبى، مددت يدى أتحسس جيبى فوجدت المظروف اللعين، توجهت على الفور إلى قسم الشرطة، كتبت محضراً بالواقعة وأرفقت به المبلغ. عدت إلى الأوتيل، طلبت عشاء فى الغرفة طاجن كوسة بالباشامل، شعرت بشئ يصطدم بالملعقة فى قاع الطاجن، أخرجته، فوجئت أنه نفس المظروف موضوع فى كيس بلاستيك متين يمنع وصول "الدمعة" إليه، طلبت الروم سيرفيس "خدمة الغرف" فتظاهر المسئول بأنه لا يعرف شيئاً عن المظروف وأن رئيس الطهاة فى المطعم الرئيسى هو المسئول عن

ذلك. ذهبت إلى مدير الفندق هائجاً ومعى الطاجن، صحت فى وجهه: لقد طلبت كوسة بالباشامل وليس بالعملة الصعبة. استدعى رئيس الطهاة الذى اعتذر بأن المبلغ سقط سهواً فى الطاجن من الطباخ المسئول عن الكوسة، وأن المبلغ هو مرتبه الذى كان قد قبضه من الصراف لتوه.

أعطيتهم المظروف وأخذت عليهم التعهد اللازم بعدم العودة لمثل تلك الحركات الصبيانية، كما أفهمتهم أنني مصرٌ على الكفاح ضد هذا المظروف إلى أبعد مدى.

فى الطائرة عند عودتى لمصر، أردت أن أخرج شيئاً من حقيبتى الهاندباج ففوجئت بالمظروف، لابد أن موظف الجمارك دسه فى الحقيبة فى غفلة منى، استولى علىّ الغضب، نزلت فى أول مطار وعدت للبلد العربى، ذهبت مباشرة إلى سفارتنا. طلبت مقابلة السفير وقلت له بوضوح: سعادة السفير، إننى أحملك مسئولية إعادة هذا المظروف لوزير الإعلام.

عدت إلى مصر وأنا سعيد لنجاحى فى مقاومة المظروف الشرير، بعد خمسة أيام عدت إلى البيت فوجدت تغييرات مفاجئة، ستائر جديدة، فرش جديد لغرفة الصالون، أحذية جديدة لكل أفراد الأسرة، كما وجدت الثلاجة والديب فريزر ممتلئتان عن آخرهما باللحم والدجاج والسمك، كما كان هناك تغيير إلى

الأفضل فى المزاج العام لأفراد الاسرة وخاصة زوجتى التى كانت تبتسم لى إبتسامة ترحيب مستغربة فى مثل هذا الوقت من الشهر، أقصد فى الأسبوع الأخير منه، سألتها: ماذا حدث.

أجابت: فيه ظرف أحضره الصراف، قال.. إن فيه مبلغاً يخصك، فتحته وعددت المبلغ فوجدته خمسين ألف دولار.. لماذا لم تقل لى إنك تحصل على خمسين ألف دولار فى الشهر وأين الخمسينات ألف السابقة..؟ أين أنفقتها؟ كانت قد صرفت خمسة آلاف دولار، اقترضتها من أصدقائى واستكملت المبلغ وذهبت إلى اتحاد الكتاب، قدمت شكوى للأستاذ ثروت إباظة رئيس اتحاد الكتاب الذى أبدى ذهوله مما حدث، كتبت محضراً بالواقعة وأودعت المبلغ خزانة الاتحاد. خرجت من هناك على صديقى المحامى الأديب صبرى العسكرى. طلبت منه أن يرفع لى قضية تعويض على وزير الإعلام، سأطالب بمائة ألف دولار تعويضاً عن المتاعب التى سببها لى، ولمحاولاته المستمرة لمنعى من البحث عن الحقيقة.

وعدنى صبرى العسكرى بأن يرسل له عريضة الدعوى فى الصباح، وفى المساء ذهبت لكافيتريا "الأوديون" فقال لى المتر عزت: فيه واحد ساب لك الظرف ده.

ثم مد يده بالمظروف الملعون، بكيت من القهر والغيظ والعجز،

ماذا أفعل، وماذا تفعل الحقيقة، عندما لا تجد من يبحث عنها ويهتم بالعثور عليها.

ألستم معى فى أن الصحفى كان على حق فى تقديم الشكوى؟! بالتأكيد طاردوه بعنف يفوق ما حدث لى.

البلدوزر

حدثت فى الأيام الأخيرة حادثة طريفة أقصد تلك الحكاية التى تقول إن محافظ القاهرة أصدر قراراً بإزالة بعض المنشآت التابعة لنقابة المهندسين من على النيل. وطبعا هذا النوع من الإزالة يتم باستخدام البلدوزر، ولأهمية المأمورية وحرصا على نجاحها جاء المحافظ بنفسه ليطمئن على عملية الإزالة..

ودارت مواتير البلدوزر، واتجه فى قوة وجلال نحو المنشآت غير القانونية، وهنا انصرف المحافظ وعاد إلى مكتبه مطمئنا لتنفيذ أوامره، بعدها بلحظات جاء نقيب المهندسين الذى هو نفسه وزير التعمير، تعمير الشواطئ وتعمير النيل، وبدأ فى تعطيل أمر الإزالة بقوة منصبه. أحضر مقعداً ووضعه أمام البلدوزر وجلس عليه، ثم صاح بصوت إسكانى تعميرى بعث الرعب فى أوصال سائق البلدوزر: لابد من إزالتى أنا شخصيا قبل إزالة هذه المنشآت.

وقع المسئول عن العملية فى حيص بيص، إن الكرسى الذى استخدمه الوزير من الخيزران العادى ولكن من المعروف علميا أن

أى كرسى يجلس عليه الوزير فى أى مكان أو أى ظرف يتحول تلقائيا إلى مقعد وزارى له مجال حيوى وحصانة، من المستحيل "دستوريا" الاقتراب منه فى غير الأحوال التى حددها القانون، علما بأن المشرع أغفل تحديد هذه الأحوال. هنا اتصل المسئول بالمحافظ وشرح له الموقف فأجاب بكلمة واحدة: نفّذ....

وضع المسئول سماعة التليفون وقال لسائق البلدوزر بحزم: نفّذ.

انتاب الفزع السائق، ودار فى عقله صراع نفسى من النوع القاتل، ذلك الصراع الذى دار فى عقل هاملت من قبل: أن أنفذ .. أو لا أنفذ.. تلك هى المشكلة.

تجمع الناس حول المشهد فى ذلك المكان الراقى على النيل فى حى الزمالك للاستمتاع بنوع جديد من الصراع لم يعد يوفره لهم المسرح أو تمثيليات التليفزيون.. قال شاهد عيان مثقف: إنها المرة الأولى فى التاريخ التى تتخلى فيها البيروقراطية عن أدوات الصراع التقليدية والتى تتمثل فى الأوراق والمذكرات والتأشيرات المتضاربة والقرارات الهمايونية.. ووضع الملف فى الدرج وإغلاقه عليه.. إلخ، وتلجأ لوسيلة أخرى قوية وحاسمة هى البلدوزر.. إن البلدوزر قوى ولكن الوزير طبعا أقوى منه..

صاح المسئول فى السائق: نفّذ..

لكن السائق بخبرة آلاف السنين على أرض الوادى، كان يعلم أن المياه لا تجرى فى العالى وأن صراع الجبابرة عادة ما ينتهى إلى جلسة صلح وعناق وأنه لو أصاب الوزير بخدش بسيط، ستكون فيه نهايته ونهاية أسرته ونهاية الحى الذى يسكنه، السائق أيضا على وعى بالمبدأ الذى يقول: يعملوها الكبار.. ويقعوا فيها الصغار.. لذلك صاح بصوت مرتجف: أنا عاجز عن التنفيذ ياسيدى..

– نعم؟!.. هل تمتنع عن تنفيذ أمر السيد المحافظ؟!

– حاشا لله ياسيدى.. أنت تطلب منى أن أدخل فى الوزير، الأوامر الصادرة لى هى إزالة المنشآت وليس إزالة الوزير..

– هو ليس وزيرا الآن.. إنه يعترض على تنفيذ الأوامر بوصفه نقيبا للمهندسين، وليس وزيراً.

– يافندم الوزير وزير للأبد.. حتى بعد أن يترك الوزارة يصبح وزيراً سابقاً.. هات لى أى مخلوق فى منصب أقل من ذلك وأنا أكتسحه على الفور.. هات لى نائب وزير.. هات لى وكيل وزارة.

– مخصوم منك عشرة أيام..

– هذا أفضل من أن تخصموا حياتى كلها..

أسقط فى يد المسئول، ذهب للوزير مرة أخرى يرجوه أن

يسمح لهم بتنفيذ قرار الإزالة، فرد عليه الوزير بهدوء: عليّ النعمة، ما أنا منقول من هنا.. هو المحافظ حايتشطر عليّ أنا..؟! مايروح ينفذ حكم المحكمة بتاع سوق روض الفرج أنا حافضل قاعد هنا.. حتى لو كان فيها نهايتي..

قال ذلك ثم التفت لواحد من مساعديه وقال: هاتوا لنا يابنى البوسطة هنا أمضيها عشان مانضيعش وقت الشعب المصرى.

لم تكن الناس وحدها هى المتفرج الوحيد، كان النيل أيضا يتفرج على ما يفعله أحفاد خوفو وحور محب. تألم النيل بشدة وهمس لنفسه بصوت سمعه سكان الزمالك وبعض سكان بولاق: آه لو كنت قادراً على الفيضان الآن إذن لاكتسحت بأمواجى كل هذه المنشآت وكل هؤلاء السادة.

وقال أحد الواقفين فى بلكونة قريبة: البشر فى هذا البلد ناكرون للجميل، هذا الرجل كان السبب فى سعادة أكثر من ٩٠٪ من الكتاب والصحفيين والشخصيات الكبيرة والعامة والوزراء..

دلنى على شخصية واحدة معروفة لم تحصل على ڤيللا فى الساحل الشمالى أو فى منطقة فايد والاسماعيلية و... و... و... لقد كانت سياسة الرجل هى بعث السعادة فى قلوب الجميع.. والله، لو كان قادرا على إعطاء كل مواطن ڤيللا فى مكان جميل لفعل ذلك.. هاتوا له ميزانية وشوفوا حايعمل إيه.. والله العظيم

كان سيعطى شاليها على البحر لكل فلاح مصرى.. هل تقومون بإزالة منشآته من على النيل لمجرد أنه لم يحصل على ترخيص.. إيه يعنى الترخيص؟!.. وإيه يعنى النيل؟!.. هل النيل أفضل من الوزير؟! احترموا تاريخ الناس.. واحترموا أعمالهم.. لقد أقام الرجل مئات الآلاف من الوحدات السكنية.

- نعم.. أغلبها بدون مرافق.

- هو انتم كنتم عاوزينها بمرافق؟!.. مش تقولوا؟! هو يعنى حايشم على ضهر إيده؟!

لقد قلتم له أن هناك أزمة إسكان.. عاوزين مساكن.. فبنى لكم المساكن.. كان يجب أن تقولوا له.. عاوزين مساكن بالمرافق.

- ولكن ياعزيزى.. الشاليهات والفيلات التى بناها على الشواطئ.. كلها بالمرافق..

نعم.. لأن أصحابها طلبوها بالمرافق.. تماما كما تذهب لبائع الحلويات.. وتطلب كنافة، طبعاً سيفهم أنك تريد كنافة سادة.. إلا إذا قلت له، أريد كنافة بالمكسرات.

فى تلك اللحظة لجأ سائق البلدوزر للحرب النفسية، رفع صوت الموتور إلى أن جعله أشبه بزئير المدرعات عاد للوراء قليلا، سار ببطء للأمام ثم توقف قبل الوزير بعدة سنتيمترات، وفجأة عاد إلى الخلف مسرعاً، دار فى مكانه محدثاً ضجيجا عالياً، ثم

اندفع للأمام ليدور حول الوزير، لم يتحرك الوزير من مكانه، لم تفلح معه تلك المناورات وإن كانت قد نجحت فى جعل المشهد بالنسبة للمتفرجين أكثر سخونة وتشويقاً، مرة أخرى تقدم المسئول عن العملية من الوزير: سيادة الوزير، اتفضل حضرتك كلم السيد المحافظ.

- كلمته مرتين النهارده الصبح.. لماذا أكلمه مرة ثالثة؟

فوّت الوزير الفرصة على المسئول، كان يعرف أنه إذا تحرك من مكانه للحديث فى التليفون ولو لعدة دقائق فستكون هذه هى الفرصة الوحيدة للبلدوزر فى حسم المعركة.

مرة أخرى طلب المسئول المحافظ فى التليفون: يافندم.. مش عارفين ننفذ.

- ماذا تفعلون فى هذه الحالة؟

- نستعين بالشرطة..

- حسنا.. استعينوا بالشرطة.

وجاءت شرطة الزمالك برئاسة لواء (عرفنا من مصادرنا فيما بعد أن هذا اللواء لم يحصل هو أو أحد من زملائه أو أقاربه على شاليه فى الشاطئ الشمالى أو الجنوبى أو فى أى مكان آخر، كما عرفنا أن زملاءه يقتلون وهم يؤدون واجبهم) قال له اللواء

بتهذيب: يافندم.. الناس بتتفرج علينا.. وأريد أن أنبهك بوضوح إلى أنك الآن تقوم بمقاومة السلطات المصرية.. أنت لست فى معركة إدارية ترى من العار أن تخسرها.. الذى يقف أمامك الآن هو ممثل السلطات المصرية.. وأنت تعرف جيداً إننى سأقوم بتنفيذ الأوامر التى تصدر لى مهما كان الثمن المدفوع.. أريد أيضا أن أنبهك إلى أننا نتكلم ليل نهار عن هيبة الدولة، وأنت وزير مسئول ورجل دولة.. إذا لم تحرص أنت على هيبة الدولة فمن نطالب إذن بالحفاظ على هيبتها؟

- هيبتى من هيبة الدولة.

- لأ ياسيدى.. هيبة الدولة فى أن تنفذ على الفور ما أطلبه منك الآن.. من فضلك أترك المكان.

وهنا صاح الوزير: لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق.

صيحة الوزير الأخيرة التى لم تكن مناسبة بالمرة لطبيعة الموقف، أضاءت فجأة جوانب المسألة كلها فى عقل ضابط الشرطة. القضية إذن لها صلة بالمعصية والطاعة، ليست إذن خلافا إداريا بين مسئولين كبيرين، بل على الأرجح هى جزء من المعركة التى تخوضها البلاد. الوزير هنا لايريد إطاعة الحكومة التى حلف اليمين على إطاعتها، فهل هناك فئة أخرى قرر أن يطيعها بمقاومة قرار الإزالة؟ السؤال ظل معلقا فى عقله بلا

إجابه، ولكن مياه النيل كما تؤكد بعض المصادر، كانت تعرف الإجابة.

ولكن الضابط شعر على نحو غامض بالإهانة فنظر له نظرة لوائية شرطوية، من ذلك النوع الذى لايفرق بين المسئول عن تعمير الأراضى أو تعمير الطاسات. وسأله بغضب: من هو المقصود بمعصية الخالق ياسيدى؟.. من تقصد؟ من منا عصى الخالق؟ هل تقصدنى أنا؟ هل تقصد المحافظ؟ هل تقصد رئيس الوزراء؟.. عندما ننفذ الدستور والقانون ياسيدى فإنما نفعل ذلك لأننا نطيع الخالق بالحفاظ على مصلحة العباد.

ولم يرد الوزير، وغادر المكان، وتحرك البلدوزر.

فشيخعات هادئـــة

صــرح بعض كـبــار المسـئولين أثناء جولاتهم فى مدن الوجه البحرى بأنهم يعملون من أجل الأجيال القادمة. وهذا هو بالضبط ما حدث فى الاتحاد السوفيتى سابقاً، كان كل جيل يعمل ويجوع ويشقى ويموت من أجل الجيل القادم من بعده، كان كل جيل يضحى فى نبل وكرم بكل احتياجاته البسيطة الطبيعية من أجل أن يتمتع جيل قادم بحياة أفضل.

وكان من الممكن أن تستمر هذه العملية للأبد لولا أن الجيل الحالى الأنانى أوقف هذه العملية فى نذالة وقرر أن يعمل من أجل نفسه فقط في الحاضر تاركاً الجيل القادم لمصيره التعس. أنا شخصياً من هواة الكتابة للأجيال القادمة، وهو أمر بالغ الصعوبة لأنه يتطلب أن تخترق الزمان وتتعرف على ملامح الأجيال القادمة وآمالها وآلامها ثم تكتب لها. الأكثر صعوبة من ذلك أن تتعرف على اللغة التى سيتكلمون بها، فالأجيال القديمة فى مصر كانت تتكلم الهيروغليفية ثم اليونانية ثم الرومانية ثم القبطية وأخيراً العربية بعد الفتح العربى الإسلامى، ولكن هل

ستظل الأجيال القادمة تعرف اللغة العربية بالشكل والمعنى المعروفين لنا الآن، لعلك تلاحظ معى أن اللغة العربية الحالية فى الصحافة على الأقل، ليست مفهومة من الجميع، بل أن البعض يصر على أنها مفهومة فقط لهؤلاء الذين يكتبونها بينما أعتقد أنا أن بعض البشر يفهمونها ولكنها إذا سارت فى هذا الاتجاه فسيأتى وقت لن تكون فيه مفهومة من الجميع، الذين يكتبونها، والذين يعجزون عن قراءتها.

غير أننا نحن أبناء هذه الجيل نستطيع بالجهد والصبر والبحث الطويل، نستطيع أن نتعرف الآن على مفرداتها أو بعضها على الأقل فنتمكن بذلك من أن نكتب لهم أعمالاً أدبية وفنية ومقالات صحفية ونحفظها لهم فى مكان أمين بحيث يجدون ما يقرأونه عندما يأتون. بدأت بنفسى، راقبت جيداً طريقتنا فى الكتابة الآن، واستطعت أن أتوصل إلى الكلمات والتعبيرات التى ستتعامل بها الأجيال القادمة ثم كتبت المقال التالى:

فى إطار المحاولات العديدة للتعرف على المفاكيس المتدعشرة والتى هى منعكسة أساساً عن حُشيكسات لا مفر من مواجهتها بحشنكوسية صارمة حتى لو ثار علينا البعض. نستطيع أن نقول أننا أهملنا طويلاً الاهتمام بالقُشيخعات الأصيلة واهتممنا فقط بالفشخعة الظاهرية، ناسين أن الحندليس لا يعطى ثماره للمتفعكسين ولا للمتفلسعين حتى لو حسنت نواياهم. هناك

مُتَدَعْشِرات كثيرة تحشرفت وتفسفست فى السنوات الأخيرة وكان من الممكن تفاديها بقليل من الحشفطة أو حتى مجرد مراعاة الحشرجيس (تكتب أحياناً بَالصاد) الذى لا يتطلب منا جهداً خارقاً وأن كان يستلزم بالطبع التمسك بالفشيخعات الهادئة والابتعاد بالتدريج عن الفُنْكيش الصاخب. إننى لا أعترض على السايكفور كما إنى لا أشجع عليه، لأن المحك الرئيسى هنا هو الخَيُرزاع الخالى من الهَيْكهيع، وبغير الحندسوغ سنفقد طريقنا إلى الفرختيس بل وهذا أخطر لن نصل للجعاضيض الأمر الذى يجب أن ننزعج له بشدة.

نأتى الآن للنقطة التى يخشى الكتاب الاقتراب منها وهى: هل نواصل السير فى طريقه الحَيْشبوس أم نتوقف عند حدود الزَبَاعة؟

والرد هو: لا الحيشبوس ولا الزباعة قادرتان على إخرجنا من دائرة الهَيْكعوس إنها مجرد محاولات لا اعتقد أنها ستنجح ما لم نتحل بقدر من العَشْفكين لا أظن أنه متاح لبشر.

***

أرسلت بالمقال لرئيس التحرير ففوجئت به يستدعينى ويقول لى: مقالك غير مفهوم.

- أعرف ذلك ياسيدى هو غير مفهوم للجيل الحالى ولكنه

سيكون مفهوماً للأجيال القادمة.

- ولكن المجلة كما تعرف يقرأها الجيل الحالى، لسنا مسئولين عما ستقرأه الأجيال القادمة، سيكون لهم مشاكلهم وعلماؤهم وسياسيوهم وكتابهم.

- وماذا عن تواصل الأجيال ياسيدى؟ ماذا عن مسئولية الإنسان عن صنع المستقبل؟ هل كان سقراط يفكر من أجل جيله وحده؟ هل اكتشف نيوتن قوانينه من أجل حاضره فقط؟ أم من أجل المستقبل.. هل كان شكسبير يكتب مسرحياته ليمثلها الممثلون فى عصره فقط أم من أجل المستقبل.

- ياعزيزى، أنا لست اعترض على اهتمامك بالأجيال القادمة.. ولكنى..

سارعت بمقاطعته: أنا سعيد باعترافك بأنه لا اعتراض لديك على اهتمامى بالأجيال القادمة وأذكرك بأنك أيضاً تهتم بالمستقبل بدليل الأعداد الخاصة التى اصدرتها المجلة وخصصتها للمستقبل، يعنى للأجيال القادمة.

- ياعزيزى أفهمنى.. المشكلة أن المقال يخاطب جيلاً لم يولد بعد.. ولن يصل إليه.. الآن المجلة تطرح فى الأسواق لعدة أيام فقط.. لن نستطيع أن نبقيها عند الباعة إلى أن تأتى الأجيال القادمة فتقرأها.

- لست مكلفاً ياسيدى بإيصال فكرتى لمخلوق.. الأجيال القادمة هى المسئولة عن التنقيب والبحث عنها ثم قراءتها والاستفادة منها تماماً كما حدث مع حجر رشيد وبقية البرديات المصرية القديمة لو أنهم كانوا يكتبون لأجيالهم فقط لما اهتموا بحفظ هذه الكتابات العظيمة على جدران المعابد وأوراق البردى إلى ان أتينا نحن وفككنا رموزها وعرفنا عظمة تاريخهم.

- صدقنى أنا لم أفهم كلمة واحدة من مقالك.

- وهل تستطيع أن تفهم كلمة واحدة من حجر رشيد؟ ليس مهماً أن تفهم أنت، هم سيفهمون.

- كيف تجزم بذلك؟

- أجزم بذلك من خلال خبرتى ككاتب.. لا توجد على الأرض كلمة غير مفهومة.. وما هو غير مفهوم الآن سنفهمه غداً.. أو بعد ألف عام.

- حسناً، أوافق على نشر المقال بشرط أن تكتب معانى الكلمات الصعبة.

- لا توجد فيه كلمات صعبة ياسيدى.. هى صعبة على الجيل الحالى وحده.. ولو أننى كتبت معانى الكلمات الصعبة فسأحرم الأجيال القادمة من متعة البحث العلمى والأحساس بلذة أن يكتشفوا معنى ما كتبت. وهنا بدت على وجهه ملامح اليأس

والعجز، هكذا الناس عندما نواجههم بالمنطق والحقيقة والأفكار الصحيحة.. سألنى فى تعاسة: ما هى الفشيخعات؟

- أحقاً لا تعرف الفشيخعات؟ أنها جمع فشيخعة.

- وما هى الفشيخعة؟

- هى مفرد فشيخعات.

أفحمه الرد ولكنه عاد يسأل: ما هو الحشنكوص؟

لا يوجد على الأرض شئ اسمه الحشنكوص لابد أنها جمعت خطأ فى المطبعة.. هى ليست بالصاد، بل بالسين.. صحة الكلمة هى الحشنكوس.. وهى ثمرة شجرة الحنداليس عندما تقطف قبل نضجها.. والمعنى المقصود هو عدم التسرع فى الرغبة فى جنى ثمار الإصلاح الاقتصادى.

عاد يسأل: ماذا تقصد بكلمة المتفعكسين..؟

- هى تطلق أحيانا على المتفلسعين.. وهم أصحاب الفلسعات.

- وما هى الفلسعات؟

- مستحيل ياسيدى أن تكون جاهلاً بها.. هى من قاموس الحاضر.. الفلسعات جمع فلسعة وهى العجز عن مواجهة الحاضر المؤلم والجرى بعيداً عنه للخلف أو للأمام..

- آه.. آه.. افتكرت.. فلسع بمعنى هرب.

- بالضبط.. أما الفَلّيسع فهو رضيع الفليسوع.

- وما هو الحشرجيس؟

الحشرَجيس أو الحشرجيص.. فهو الحشرجة عندما تصدر عن فتحة الفم ومن فتحة أخرى فى وقت واحد.. بمعنى التشحير، فى الأوساط الشعبية يقولون وابور الجاز بيشحر بمعنى أنه لم يعد به كيروسين، وأنه على وشك الانطفاء.

- وما هو السايكفور؟

- أصارحك أننى لا أعرف لكن الأجيال القادمة حتما ستكتشف معناها.

***

نشرت المقالة وارسلت لهم عدة مقالات أخرى وفى آخر الشهر ذهبت للصراف فقال لى: أصحاب المجلة يبلغونك بأنهم قرروا أن تحصل على مرتبك من الأجيال القادمة.

- ألا يمكن أن أصرفه الآن خصماً على حسابهم.. أو من حسابهم؟

- ممكن، فى حالة أن تكون هذه المجلة تابعة للدولة، ستحصل على مرتبك من الديون التى ستُتْرك مهمة تسديدها للأجيال القادمة.

وهكذا عدت تحت ضغط الحاجة للاهتمام بالجيل الحالى، ولكن من حسن الحظ مازال بين المسئولين من يهتم بالأجيال القادمة وليس مرغماً تحت ضغط الحاجة للاهتمام بالجيل الحالى.

المخدرات والكباب

هاجم رجال مكافحة المخدرات قصراً تقيم فيه تاجرة مخدرات. القصر كانت تحرسه مجموعة من الكلاب الشرسة ولكن رجال المكافحة قدموا لها كمية كبيرة من الكباب الساخن فتخلت الكلاب عن مهمتها المقدسة فى حراسة القصر وانهمكت فى أكل قطع الكباب اللذيذة. تم القبض على السيدة وكمية كبيرة من الحشيش والأفيون.

قالت السيدة فى التحقيق أنها تتاجر فى المخدرات للإنفاق على المحامين الذين يتولون مهمة الدفاع عن زوجها المسجون فى قضايا مخدرات عديدة بالإضافة لدفع مصاريف أولادها فى مدارس اللغات الخاصة.

هذا هو الخبر الذى نشرته الصحافة وأثار انتباهى بوجه خاص، فلأول مرة فى التاريخ تلجأ الشرطة لسلاح الكباب الساخن.. تحدثت فى ذلك مع مسئول كبير فى مكتب مكافحة المخدرات فقال لى: لقد حاولنا مرات عديدة أن نغرى الكلاب بقطع العظم ولكنها لم تأبه لها، قدمنا لها قطع لحم ممتازة

فرفضت أن تأكلها، قدمنا لها سندوتشات هامبورجر بالكاتش أب والمسطردة، ففشلنا أيضاً فى إغرائها بالابتعاد عن أماكن الحراسة المخصصة لها. ولكننا لاحظنا بالمراقبة الدقيقة أن الكلاب كانت تنبح بشدة فى لحظات معينة، هى تلك اللحظات التى يأتى فيها مسئول الكباب فى قصر السيدة حاملاً صينية الكباب لها ولأعوانها. لاحظنا أيضاً أن نباحها يتحول إلى نباح حزين وتعس جداً بعد اختفاء صينية الكباب داخل القصر. عند ذلك استنتجنا أن هذه الكلاب مثل كثير من الآدميين تحب الكباب الساخن. لذلك استعنا بكبابجى، جاء بشوايته وأخفاها فى سيارة بوكس ثم آخذ يشوى الكباب قبل الفجر بنصف ساعة، انتبهت الكلاب للرائحة فاقتربت من السور بهدوء، كما استيقظ بعض السكان على الرائحة وجاء بعض الفضوليين الجائعين فابعدناهم. تقدم بعض الضباط متنكرين فى هيئة كبابجية ووضعوا الكباب على السور ومعه سلطة الطحينة وبابا غنوج. فانهمكت الكلاب فى الأكل على الفور وهى تصدر أصواتاً وغمغمات تدل على الاستمتاع، هذه الأصوات فسرها خبراء الكلاب عندنا بأنها تقول: اتفضلوا ادخلوا.. دى وليّة جعانة وبخيلة وتستاهل اللى يحصل لها.

سألته: هل معنى ذلك أنكم ستنشئون قسماً خاصاً للكباب داخل الإدارة؟

أجاب: لا داعي لذلك، الآن اكتشف تجار المخدرات أنه لابد من أشباع كلابهم وتغذيتها بالكباب لحمايتها من الإغراء.. وعلينا أن نفكر في طُعم آخر، في الغالب سوف نستخدم الجمبري في حملتنا القادمة.

قابلت المحامين الذين يترافعون عن زوج السيدة فأنكروا أنهم يتقاضون منها أتعاباً، وقالوا إنهم يحصلون منها على عدة مئات آلاف الجنيهات لتسديد الرسوم المقررة والتمغات كما أوضحوا أنه إذا كانت الناس ستتاجر في المخدرات لدفع أتعاب المحامين فمعنى ذلك أن نصف سكان مصر سيتاجرون في الممنوعات.

توجهت بعد ذلك لمدير مدرسة اللغات التي توجد بها أولاد السيدة، قلت له: قالت المتهمة في تحقيقات النيابة أنها تتاجر في المخدرات لمواجهة مصاريف الدراسة المرتفعة.

فرد عليّ: المصاريف عندنا ليست مرتفعة لدرجة تدفع الناس للاتجار في المخدرات.. كان من الممكن أن تكتفي السيدة بالاتجار في البرشام أو الماكس.. أو العملة.. فكثير من أولياء الأمور عندنا يكتفون بممارسة جرائم أقل خطورة لدفع المصاريف.

أمريكا..
احــذري

فى يوم واحد هو ٢٧ أكتوبر ١٩٩٢ قبل يوم القيامة المزعوم بيوم واحد، نشرت صـحيفـتـان قومـيتان خبـرا فى غـاية الأهمـيـة عن زيت حبـة البركـة. ومن الخبرين نفـهم أن زيت حبـة البركة يقوى جهاز المناعة، ونفـهم ضـمناً أنه يعالج مرض الإيدز. وإن كانت الصـحيفتان لم تذكرا ذلك صراحة واكتفتـا بالقول بأنه يعالج السرطان على الأقل.

الخبـر كما أوردته جريدة الأخبارفى صفـحتها الأولى يقول إن العلماء فى مـركز البحـوث الأمريكية هم أصـحاب هذا الاكتشـاف، ونحن نزعم أنه لايوجد مركز أبحاث على الأرض بهذا الاسم. أما الخبر كما نشر بجريدة " الأهرام" فى الصفـحة الأخيرة فيقول: إن الاكتشـاف وصلت إليـه مراكـز البـحوث الأمـريكيـة الطبيـة.. ياسلام؟ كل مراكز البحـوث الأمريكية الطبية؟ كلها مـرة واحدة؟.. السؤال هو: هل كانت كل مراكز البحوث الطبية الأمريكية منهمكة فى وقت واحد بـالبحث فى زيت حبة البركة؟ وهل وصلت جميعـها إلى نفس النتيجة فى نفس الوقت؟

ثم يمضى الخبر فى "الأهرام" ليكشف سرا خطيرا وهو أن الولايات المتحدة الأمريكية قد تعاقدت على شراء كل محصول حبة البركة واحتكار سوقه لأعوام قادمة من الدول المنتجة لهذا النبات ومنها مصر والهند والحبشة وسوريا ولبنان.

إذا صح هذا الخبر فهو يسئ للعلاقات المصرية الأمريكية أبلغ الإساءة ، كيف تأخذ أمريكا من المصريين هذا الزيت العظيم وبذلك تترك الشعب المصرى بلا مناعة، وعرضة لتفشى الإصابات بالسرطان؟! معلوماتى أن هناك قانونا فى أمريكا يمنع الاحتكار، فكيف تسمح الولايات المتحدة لنفسها باحتكار هذا الزيت؟

إن الخبر يقول بوضوح أن أمريكا تعاقدت على شراء كل محصول حبة البركة، كل المحصول؟ يانهار أسود، تعاقدت مع من؟ من المسئول عن هذا التعاقد المشبوه؟

يادى الخيبة القوية، كيف يسمح مسئول لنفسه بالتعاقد على بيع كل محصولنا من ذلك النبات العظيم؟ أنا لست ضد التصدير، ولكن بشرط استيفاء حاجة مصر أولا وخاصة عندما يتعلق الأمر بسلعة استراتيجية مثل زيت حبة البركة. هناك بلاد أعطاها الله زيت البترول، وهناك بلاد عوضها الله سبحانه وتعالى عن ذلك بزيت حبة البركة، فهل نبيعه كله؟ وماذا يربح الانسان عندما يكسب الفلوس ويخسر حبة البركة؟ حتى لوكان الثمن

المدفوع مقابل التصدير هو مليارات الدولارات. لأن معنى ذلك هو أننا سنعود لنشتريه من الغرب فى السوق السوداء بالعملة الصعبة.

إننى أطلب التحقيق فورا فى صحة هذه الواقعة، التصدير على عينى وراسى، بس يسيبوا لنا شوية. مش كل المحصول، فالمثل الشعبى المصرى يقول"إذا كان حبيبك زيت حبة البركة، ماتلحسوش كله" الملاحظ أيضا أن الخبرين لم يذكرا المصدر الذى نقلا عنه، مااسم وكالة الأنباء التى أذاعت الخبر؟ أو اسم المراسل؟ أو الجريدة ، أو الاذاعة؟ أو العطار؟ أو الجن الأزرق؟ ومتى تم الشراء؟ بعد إعلان الاكتشاف بدقيقة؟ بساعة؟ بيوم؟ بشهر؟!

إننى أتوقع من الملحق العلمى والملحق الإعلامى والملحق الزراعى فى السفارة الأمريكية بالقاهرة توضيحا وإجابة شاملة عن كل هذه الأسئلة. وأقول لهم بكل وضوح: إن معركتكم ضد الشيوعية كوم ومعركة زيت حبة البركة كوم تانى. لن نسمح لكم نحن حكماء العالم الثالث باحتكار زيت حبة البركة، وسنخوض ضدكم معركة طويلة فى مصر والهند والحبشة وسوريا ولبنان وكل مكان يزرع حبة البركة، سيكون شعارنا:"لنمت نحن وليحيا زيت حبة البركة". مافائدة الحياة أو قيمتها عندما نعيشها بلا مناعة.

ومع ذلك فأنا أنبه وأحذر وأوضح، أن نشر الخبر فى جريدتين قوميتين وفى مكان بارز فى الصفحة الأولى والأخيرة، يحصر قوة زيت حبة البركة فى مجال تقوية جهاز المناعة فقط، وبذلك يحجب عن القارئ القوة الحقيقية والنفع المؤكد لزيت حبة البركة ولعل ذلك هو المقصود من نشر الخبر.

نحن نؤكد أن هناك منافع كثيرة لزيت حبة البركة تحرص حكومات العالم على إخفائها وحجبها لأنها إذا أعلنتها فستخسر صناعة الأدوية فى العالم مليارات الدولارات بل قد تغلق أبوابها، إننا نعلن ولأول مرة أن زيت حبة البركة مفيد فى كل مجالات الحياة ونتحمل مسئوليتنا كاملة عن هذا الإعلان.

هل تعلم أنه بإضافة نقطة واحدة من زيت حبة البركة للمتر المكعب من الخرسانة المسلحة يجعلها فى منتهى الصلابة وقادرة على مواجهة زلزال بقوة١٠ ريختر، حتى لو كان الأسمنت رديئا والحديد مغشوشا؟

هل تعلم أنك عندما تضيف نقطة زيت واحدة لحبر الطباعة يمنع التدهور العقلى عند الكتاب والصحفيين ويحول كتاباتهم إلى كلمات تحترم العلم والعقل والحياة.

هل تعلم أنه فى دول الشمال بأوروبا استخدم العلماء هذا الزيت العظيم فى التعرف على مهندسى ومسئولى مجالس الأحياء

المرتشين، إنهم يضعون نقطة واحدة منه فى فنجان قهوة ويقدمونه للمسئول، بعد أن يتناول القهوة بدقيقتين فقط يتحول وجهه إلى اللون الأسود؟

حتى إسرائيل، استخدمته فى ترشيد الرى وزراعة الصحراء. اكتشفوا هناك أن إضافة ربع لتر زيت حبة البركة إلى كل ألف متر مكعب من المياه يكفى لزراعة ألف فدان فى سبعة أيام ويعطى محصولا أوفر، سر آخر نذيعه، ضع نقطة من زيت حبة البركة على ورقة ذات عشرة جنيهات ثم دسها وسط باكو وقدمها لأى بنك، ضعها فى حسابك، سيتضاعف رصيدك مئات المرات، بشرط أن تتكلم عن زيت حبة البركة فى التليفزيون أو الاذاعة أو الصحافة أو فى جلساتك الخاصة.

جرب أن تضيف نقطة واحدة إلى مياه الرادياتير فى سيارتك الفيات القديمةستتحول إلى زلكة بعد شهر بشرط أن تدفنها فى الردة الدافئة، هذه نصيحة مجربة، ولكن لاتدفنها أكثر من شهر فقد تتحول إلى مرسيدس"شبح"وتجر عليك المتاعب وتثير الأحقاد.

وإذا كنت طالبا فى كلية العلوم أو مسئولا فى المركز القومى للبحوث فنحن ننصحك أن تنظف عقلك من كل مادرسته من نظريات علمية وأن تكتفى باضافة نقطة واحدة من زيت حبة البركة إلى طبق الفول المدمس الذى تتناوله صباحا، ولكن إحذر

أن تضعه على سلطة الطحينة، أو الباذنجان أبوخل فقد ثبت أنها تفسد مفعوله، إذا واظبت على ذلك لمدة خمسة أعوام متصلة فسيأتيك الخير من كل جانب، ولكن احرص على أن تكون المدة متصلة، لأن كل يوم بدون زيت يتطلب عاما كاملا.

أما في مجال الحروب فحدث عنه ولا حرج، إن إضافة نسبة ضئيلة منه إلى الزيت الذى يزيتون به مدافع المدرعات تعطى دقة أكثر فى إصابة الهدف وتعطى نيرانا أكثر كثافة وتأثيرا، أما أشعة الليزر التى تستخدمها الطائرات فى التصويب على الهدف فقد اكتشف أنها تكون أكثر لزارة أو أكثر ليزرة أو ليزرية إذا مرت من خلال وسيط زجاجي معتم به زيت حبة البركة.. ومن المعروف أن أحد قادة الطيران فى عاصفة الصحراء، عزل من منصبه لعدم استخدامه لزيت حبة البركة. هل تعرف لماذا فشل صدام حسين فى الاحتفاظ بالكويت، ولماذا فشلت كل مخططاته، لقد استطاعت المخابرات الأمريكية أن تدس عليه طباخا استولى على كل زيت حبة البركة الموجود فى مطبخ القصر، ووضع له فى طعامه زيت ذرة عادى ففقد الرجل عقله وأصبحت كل قراراته خاطئة. وهذا من رحمه الله بعباده.

هل تذكر الأغنية التى تقول: ياأهل المحبة.. إدونى حبة.

الحبة المقصودة طبعا هى حبة زيت البركة، حيث إنها تقوى

الحب بين المحبين، كما ذُكرت أيضا فى الأغنية الشـهيرة: حبة فوق.. وحبة تحت، إذ اكتشف العلماء أن حبة واحدة فوق أو حبة واحدة تحت لا تحقق الهدف المنشود، وانتهوا بعد مجهود علمى شاق إلى ضرورة أن تكون هناك حبة فوق وحبة تحت..

يا رب، ماذا فعلنا لهؤلاء البشر حتى يحتقروا عقولنا كل هذا الاحتقار؟

ماذا ينقصهم؟

وهل كتب علينا أن نحارب على كل الجبهات؟!

كيف عاد أشرف السعد؟

أشرف السعد واحد من أصحاب شركات توظيف الأموال في مصر، وشركات توظيف الأموال إذا لم تكن تعلم، هي الشركات التي تولت جمع فلوس المصريين لتوظيفها لهم بعد أن عجز المصريون أنفسهم عن العثور على وظائف. كان شعار هذه الشركات هو "إذا كنت حضرتك شخصياً مش عارف تشتغل، هات لنا فلوسك نشغلها لأننا أجدع من حضرتك".

وفجأة انكشفت كل هذه الشركات وضاعت الفلوس وإن بقى الأمل الجميل في نفوس البشر بأنها حاتيجى بإذن الله، ولكنها حتى الآن لم تأت، وإن كان ذلك لم يزعج أحداً من المسئولين إستناداً لقاعدة "أن الغايب حجته معاه". أما الأمر المؤكد فهو سقوط بعض المودعين فريسة للمرض وموت البعض عجزاً وكمداً وتعاسة، أما الباقون فقد سلموا أمرهم لله العلى القدير.

وفجأة بينما الجميع يضربون أخماساً في أسداس أختفى أشرف السعد من القاهرة ثم ظهر في لندن وباريس. نقول اختفى ولا نقول هرب، حيث أن قرار منعه من السفر لم يصدر إلا بعد

"خروجه" وفى عواصم الغرب توالت تصريحاته الصحفية التى يعدها البعض أكثر التصريحات شجاعة فى التاريخ، فقد قال الرجل أن عملية توظيف الأموال بالشكل الذى حدثت به تدخل بوضوح فى دائرة النصب وأنه كان لابد آجلاً أو عاجلاً أن تنهار هذه الشركات على رؤوس المودعين المساكين.

وفجأة أيضاً بعد عامين تقريباً، عاد أشرف السعد فى ثوبه الجديد، تخلص من الجلباب القصير وارتدى ملابس الكفار وهى البنطلون والقميص، وهذب لحيته وذلك بأن حذف منها خمسة كيلو جرامات تقريباً.

وبالرغم من أن أجهزة الأمن تتكتم بشدة أسرار المحاولات التى بذلتها لعودته بالإضافة لأسرار الترتيبات الأمنية التى اتخذت لحمايته من المودعين عند نزوله من الطائرة "١٤٦ ألف مودع" يعنى لو كل مودع نفخ فيه نفخة واحدة لطار إلى المريخ، ولو أن كل مودع صرخ فى وجهه صرخة واحدة لاهتزت مبانى القاهرة نفس الهزات التى يحدثها زلزال بقوة ٨ "ريختر" غير أننا استطعنا الحصول - بطرقنا الخاصة - على تفريغ لشريط المحادثة التليفونية التى تمت بينه وبين مسئول كبير.

ألو.. أشرف السعد مع سعادتك يا باشا.

- أهلاً يا أشرف. عامل أيه فى برد لندن؟

هى لندن برد؟ ماعرفش والله ياباشا.. أصل أنا ماباخرجش من القصر بتاعى.. باقول إيه ياباشا..

- قول يا أشرف.

عاوز أرجع مصر ياباشا.

- تنور يا أشرف.. بلدك ووطنك.. أنت فى النهاية مواطن مصرى سيئ الحظ حاول وأخطأ ولكن يبقى له شرف المحاولة.

أشكرك ياباشا.. بس أنا خايف.

- خايف من إيه لاسمح الله.. هو احنا عندنا حاجة تخوف؟

خايف أتسجن ياباشا..

- تتسجن ليه؟ هو إنت لاسمح الله عملت حاجة؟.. تعال بس وبعدين نتفاهم.

- توعدنى ياباشا؟

- يا أشرف المسألة فى إيد القضاء والنيابة.. أؤكد لك أنك ستعامل بكل عدل.. إنت اللى سوأت موقفك بهروبك.

أنا ماهربتش ياباشا أنا خرجت عادى، طلعت أحج، وبعد الحج حسيت بشوية مغص فخدت رجلى على باريس، وفى باريس حولونى على أكبر أخصائي مغص فى لندن.

- يعنى خفيت دلوقتى؟

شوية الحمد لله، بس أعرف أسافر وأكمل علاج فى مصر، بس لى طلب ياباشا.

- أتفضل.

تكلم الجماعة يسيبونى ٤٨ ساعة مع أسرتى..

- هو أنت ياأشرف ياحبيبى اللى حاتحدد معاد وقوفك قدام النيابة؟ومع ذلك نناقش المسألة دى لما تيجى.

- وعاوز خمسة أيام أقعدهم لوحدى فى أسوان، يمكن شمس أسوان تطلع من جسمى برد أوروبا وتخلينى أفكر فى حل كويس لأموال المودعين.

- ثلاثة أيام كفاية ياأشرف.

ولى خالة فى بنى سويف، عاوز أزورها وأقعد عندها يومين.

- صلة الرحم واجب برضه..

وفيه ياباشا راجل مبروك فى الغردقة عاوز أزوره واخد منه البركة وأقعد عنده أسبوع.

- واجب برضه.

وفيه ناس أيتام غلابة فى اسكندرية، أبوهم ساب لهم عندى أمانة عاوز أوصلها لهم، والمهمة دى حاتستغرق عشرة أيام.

- معقول ياأشرف؟ دى مسألة تأخد يوم واحد.. تروح

أسكندرية وترجع آخر النهار أو بسنير تبات هناك وترجع تانى يوم.

ماعرفش عنوانهم ياباشا، أنا لسه حاتحرى واسأل عن عنوانهم، أصل بيتهم غرق فى زاوية عبد القادر.. وماعرفش راحوا فين.

- ماشى، عاوز إيه كمان؟

عاوز أفوت على الميكانيكى أضبط الفرامل وبعدين أروح للكهربائى..

- ماشى..

نيجى لأهم نقطة ياباشا.. بصراحة أنا مابثقش فى هيئة سوق المال ولا اللجان الحكومية.. عاوز أتفاهم بنفسى مع المودعين.. عاوز أحل مشكلة كل مودع بنفسى، عشان كل واحد ياخذ حقه، وأنا أؤكد لك إن كل واحد حايخرج من عندى مبسوط ومرتاح وراضى، إدونى فرصة أتفاهم معاهم كل واحد على حدة، وبعدين قدمونى للنيابة.

- عداك العيب ياأشرف.. ودى عاوز لها وقت قد إيه؟

إحسبها بنفسك ياباشا، ١٤٦ ألف مودع، قول كل واحد حاتفاهم معاه ٣ ساعات يبقى ١٤٦٠٠٠ X ٣=٤٣٨٠٠٠ ساعة،

لو اشتغلت ٣٦٥ يوما فى السنة، يعنى من غير أجازات يبقى ٣٤٨٠٠٠ على ٦ = ٥٨٠٠٠ يوم نقسمهم على ٣٦٥ يوم فى السنة، تبقى ٥٨٠٠٠ على ٣٦٥=١٣١ سنة و٤ شهور وخمسة أيام.

- ياه ١٣١ سنة كتير قوى ياأشرف..

والحل إيه ياباشا.. هى دى الطريقة الوحيدة لحل المشكلة.

- كفاية ساعة واحدة مع كل مودع ياأشرف.. وبالطريقة دى المسألة تخلص فى أربعين سنة بس.

ماشى كلامك ياباشا، خلاص حاجى مصر، حاشوفكم فى المطار؟

- طبعاً.. كل حبايبك حايستنوك فى المطار.. وفى كل حتة..

متشكر ياباشا..

- لا شكر على واجب.. إلى اللقاء.. مع السلامة

خواطر فوليـة

عقد مؤخراً فى القاهرة مؤتمر لدراسة الفول المدمس، اشترك فيه عدد كبير من الأطباء المتخصصين فى التغذية، أما الأمر غير مفهوم فهو اشتراك مجموعة من أطباء التحليل النفسى في المؤتمر. ما صلة الفول المدمس بعلم النفس؟

تتبعت باهتمام نتائج الموتمر وخاصة وأن الأخبار المتناثرة التى نشرت عن المؤتمر أعطتنى انطباعاً بأن هناك "خطراً" ما على البشر من تعاطى الفول. وأن هذا الخطر يتعلق بالأبدان كما يتعلق بالعقول أو التكوين النفسى على الأقل. ولكن نتيجة المؤتمر كانت مطمئنة للجميع. فقد اتضح أن الطريقة الوحيدة للتخلص من الآثار الجانبية الضارة للفول هى الامتناع عن أكله بمفرده وأن اضافة الليمون والملح والزيت إليه يقضى على كل آثارة الضاره، كما أن تناول البصل والفجل والجرجير والطماطم معه يحوله إلى غذاء متكامل. أفادكم الله وغفر لكم كل ما أنفق على هذا المؤتمر الفولى النفسى. (وعلى فكرة عندما يتدخل علم النفس فى الفول يتحول إلى فول مدنفس) والسؤال الذى أوجهه الآن هو:

هل سمعتم من قبل عن شخص التهم طبق فول حاف بدون الاكسسوارات اللازمة التى تتواجد معه دائماً مثل الزيت بكل أنواعه، والليمون والكمون والسلطة الخضراء أو سلطة الطحينة.

لنفرض أن شخصاً أبله. أو معقداً، أو جاهلاً ارتكب هذا الخطأ القاتل فهل يصح أن نعقد مؤتمراً من أجله ننبهه فيه إلى خطورة أكل الفول حافاً بلا عناصر معاونة ومساندة ومكملة له؟ يقيناً هذا الشخص، إذا كان صحيح العقل فمن المؤكد أنه عاجز مادياً عن الحصول على هذه العناصر المكملة. معنى ذلك أن هذا المؤتمر أصلاً مسئولية وزراء المالية والاقتصاد ومسئولى التخطيط والتنمية وليس أطباء الأجسام والنفوس.

هذا المؤتمر بالنتائج التى توصل إليها، يجب أن يعقبه فوراً مؤتمراً آخر يجيب فيه المسئولون فى الشرق الأوسط عن هذا السؤال: لماذا يعجز بعض الناس عن إضافة الزيت والليمون إلى طبق الفول؟ وما هى الطريقة التى نوفر بها الطماطم والبصل والجرجير والفجل بجوار طبق الفول لتفادى الأخطار الصحية التى نبه لها المؤتمر الأول.

إننى بعد حضور بعض ندوات المؤتمر أستطيع أن أقول إن بعض أعضائه اتخذوا موقفاً شديد التحيز ضد الفول. وبالتحديد الدكتور "طحينة" الذى صرح علناً أمام الحاضرين: لو كان الفول

رجلاً لقتلته.

وأنا أنتهز الفرصة الآن لأرد عليه، بعد أن منعونى من الرد فى الندوة، إننى أطلب من سيادته عدم التسرع فى إصدار الأحكام، وأن يقرأ أعمال أعظم عاشق للفول فى التاريخ "الفوّال بن القدرة" الذى قال: لو كان للفول أمبراطورية لكنت أمبراطورها، ولو كان له وزارة لكنت وزيرها، ولو كانت له إدارة لكنت مديرها.

كيف تنسى يادكتور طحينة قولته الشهيرة: الفول عجمية يارجالة، بالهنا والشفا للأكالة.

أو قصيدته التى مطلعها: هات لنا واحد فول لتلاتة.. ووصى عليه عم شحاته.

إن عشاق الفول مازالوا حتى الآن يحاولون فهم ماقاله فى الفصل السابع من كتابه الشهير "نزهة العقول فى طبق الفول" الذى يقول فيه:

رص الفول جنب الفولة وحط التانية قبل الأولى. بذمتك يادكتور "طحينة" هل تعرف الطريقة التى توصل بها أجدادانا لرص حبة الفول الثانية قبل الأولى؟ إننى أتحداك وأتحدى كل أعضاء المؤتمر أن يتوصلوا إلى الطريقة التى يتم بها ذلك. لو كان رجلاً لقتلته ياسيدى؟ لماذا لا تتشطر على اللحمة والفراخ،

لماذا لا تصب حقدك وكراهيتك على الكباب.

أما أنا ياسيدى فأقول باحترام: لو كان الفول رجلاً لصادقته، ولو كان امرأة لاحببتها وتزوجتها إلى الأبد.

هل أكلت فولاً عند الجحش فى حى السيدة زينب؟ هل أكلته عند البغل فى دمنهور؟ كيف تتكلم عما لا تعرفه؟ فول أيه اللى أنت جاى تقول عليه.. أنت عارف قبله معنى السلطة إيه؟

لقد لعب الفول أكثر الأدوار أهمية فى حياة مصر والمصريين من آلاف السنين، لا أقصد من الناحية الغذائية ولكن فى نظافتهم واستمتاعهم بالحياة. لعلى أدهشك الآن عندما أتحدث عن دور الفول المدمس فى مجال النظافة العامة والخاصة. هل تعرف الحمامات الشعبية ياسيدى. تلك الحمامات ذات المغاطس الساخنة والتى تجرى فيها المياه الساخنة كالشلالات. كان الوقود اللازم لتسخين هذه المياه هو القمامة، كانت فى مكان خلف الحمام مباشرة يسمى "المستوقد" فى هذا المستوقد كانت تدفن قدرة الفول عند الغروب لكى تنضج على نار هادئة لساعات طويلة حتى الفجر، هذا هو معنى التدميس. أما الفول الذى تأكله الآن ياسيدى فليس هو الفول الذى عرفه أجدادنا. الفول المعاصر تم تدميسه فى الدماسات الكهربية أو بنار البوتاجاز الحامية، وفى أفران تعمل بالسولار. أما الفول القديم فكانت تنضجه النار

الهادئة لساعات طويلة جداً. وبذلك يحتفظ بكل مواده الفعالة وڤيتاميناته التى اكتشفها العلم، وتلك التى مازالت سراً غامضاً وفى نفس الوقت يتخلص من أى عناصر ضارة. إن الرحالة الإغريقى القديم "طعميادس" حيرته هذه الظاهرة طويلاً، هل المصريون يستخدمون القمامة لإشعالها فى المستوقد للحصول على الماء الساخن فى الاستحمام؟

أم أنهم أصلاً أنشأوا هذه الحمامات للتخلص من القمامة؟ أم أن الهدف الأصلى لهذه الدوائر المترابطة من الأفعال هو تدميس الفول نفسه، أى أن تدميس الفول هو الهدف الأصلى، وبذلك تكون العمليات الباقية هى إنتاجات عرضية By Product؟ أيا كانت الاجابة، فمن المؤكد أن اختفاء الحمامات البلدية نتج عنها تلك العادة السخيفة وهى الاستحمام تحت الدش فى لحظات وفقدان تلك الساعات الطويلة الممتعة فى المغطس ثم التدليك والتكبيس، بالإضافة لتراكم القمامة فى الشوارع.

ألا يدفعنا ذلك للمطالبة بالعودة إلى الوراء وإنشاء أكبر كمية من الحمامات البلدية بنفس المواصفات التى عرفها أجدادنا، ألا يجعلنا ذلك ويجعل شوارعنا أكثر نظافة ويجعل فولنا أروع تدميساً. وأبداننا أكثر تدليكاً وتكبيساً.

إن العالم كله منشغل الآن فى كيفية التخلص من القمامة مع

الاستفادة منها. لماذا لانجرب أن ننشئ حماماً واحداً فى المدن الجديدة بحيث نعطى لصاحبه الأرض مجاناً (أو يستحم موظفو الحكومة الذين يعملون فى المدينة مجانا لعدة سنوات مقابل ثمن الأرض) ثم نراقب التجربة لتعميمها فيما بعد بشرط أن تؤمن لها عناصر نجاحها وأولها أن نكون جادين ونراعى الله والضمير فى إنشاء هذا الحمام بنفس المواصفات، بنفس الخامات، وبنفس الإخلاص.

لا داعى لبناء حمام نكتشف بعد قليل أن جدرانه تنشع مثل الانفاق. أو يخرج علينا عبقرى من دعاوى التطوير فيقترح تدميس الفول فى خزانات ليتم توزيعه على منافذ البيع بعد مروره فى مواسير الحمام، ثم نكتشف فيما بعد أنه قد حدث خطأ فى تركيبات المواسير، فنتج عن ذلك أن امتلأ المغطس بالفول أو أن الأدشاش بدأت تنزل منها سلطة الطحينة، ثم يسير كل شئ فى الاتجاه المعاكس فتستحم قدر الفول ويتم تدميس البشر.

فكروا فى اقتراحى.

آه
ياغجر

فى عموده الأسبوعى بجريدة أخبار اليوم تحدث محمود السعدنى بمرارة وألم عن بعض الأشخاص من أعضاء مجالس إدارات الشركات القابضة وقال إنهم يحصلون فى اليوم الواحد على ألف دولار أو ماقيمته ثلاثة آلاف جنيه مصرى ثم أنهى كلمته بجملة بشعة من كلمتين هى: آه..ياغجر.

ياصديقى،

لم أكن أريدك أن تنزل إلى هذا المستوى فى الحوار، فنحن كتاب الفكاهة لا نشتم الناس تلك الشتيمة المقذعة لمجرد أنهم يحصلون على ثلاثة آلاف جنيه فى اليوم. هل سرقوها؟ هل اختلسوها؟هل نشلوها؟ هل حاصروا أحد ركاب الأتوبيسات وشهروا فى وجوههم المطاوى واستولوا على هذه الآلاف الثلاثة؟أم هم يحصلون عليها طبقا للقوانين واللوائح. هل هى دعوة للتمرد على القانون والقواعد واللوائح التى تنظم القبض فى الشركات القابضة؟

عندما نصرخ فى وجوههم آه..ياغجر فمن المؤكد أن تلك

الصيحة ستؤلمهم جدا لأنها ستظل تدوى فى أسماعهم،آه..ياغجر، آه..ياغجر، آه.. ياغجر. سيتصورون أن البشر فى كل مكان يقولون لهم: آه.. ياغجر، آه.. ياغجر، آه ياغجر. وتكون النتيجة أن يفقدوا أعصابهم وتقل كفاءتهم فى ادارة العمل فتخسر الشركات التى يقبضون عليها ملايين الجنيهات والدولارات ثم ندفع نحن هذه الملايين لمجرد أنك قلت لهم: آه ياغجر.

تصور لو أن بقية الكتاب قلدوك عند الحديث عن أى خطأ أوتجاوز مالى، ماذا سيحدث لمستوى الكتابة عندنا؟وماذا سيحدث فى مجال الفن؟ لأن هذه الجملة، آه..ياغجر، ستنتقل حتما إلى مجال الطرب، عندئذ نفاجأ بأحد المطربين يغنى: آه.. ياليل ياغجر، والمنجة طابت على الشجر..أو سمعت صوتا هاتفا فى السحر يقول: آه.. ياغجر!!

ثم تواصل الجملة مسيرتها التعسة فتتسلل إلى الحوار فى أفلامنا ومسرحياتنا فنجد كل الشخصيات تقول لبعضها البعض: آه..ياغجر، آه.. ياغجر.. آه.. ياغجر. بل من المؤكد أنها ستتسلل إلى مجال العلاج الطبى فنجد الطبيب الذى يكشف على مريضه يطلب منه أن يقول: آه.. فيرد عليه المريض: آه.. ياغجر.

ثم تعال نتناقش بصراحة ياعزيزى، الفلوس نعمة واللى يكرهها يعمى، الفلوس تدفع بالإبداع إلى العقل البشرى وتكسب

الجسم حيوية ونشاطا، هؤلاء الذين يحصلون على ثلاثة آلاف جنيه يوميا سيبدعون فى شركاتهم القابضة، بالله عليك كيف يجعلون شركاتهم القابضة أكثر قبضا إذا لم يقبضوا هم بشكل مبدع؟!أنا واثق أنهم سيجعلون شركاتهم تربح ثلاثة آلاف جنيه فى الثانية الواحدة. لذلك أنا أطلب منهم أن يرفعوا المبلغ، أن يحصلوا على ثلاثين ألف جنيه فى اليوم، بل فى الساعة، بل فى الدقيقة، لانها اللحظة الأخيرة فى تاريخ الاقتصاد المخطط فوق الأرض، وهم على وعى بذلك، لماذا لا يؤمّنون مستقبلهم؟! هم يعرفون أن المطعم سيغلق أبوابه إلى الأبد بعد لحظات، فلماذا لا يلحسون آخر آثار الفتة فى آخر طبق؟ لماذا لايمصمصون آخر قطعة عظم فى جسم الوزة؟

ياصديقى، هم ليسوا ملائكة، هم بشر مثلى ومثلك. أنا بصراحة أستطيع مقاومة ثلاثة آلاف جنيه فى الشهر إذا كانت ستقتطع من لحم هذا الشعب وتضيف إلى ديونه، ولكنى أشك كثيرا فى قدرتى على مقاومة الحصول على هذا المبلغ فى اليوم، حتى لوترتب على ذلك ذهاب الشعب المصرى إلى الجحيم. أؤكد لك أنه إذا أتيح لبشرى أن يحصل على هذا المبلغ فى اليوم بشكل قانونى ثم امتنع عن قبضه فلابد أنه أحمق أو مجنون أوعميل متآمر يدبر لنا شرا كبيرا.. ولو أن مجموعة من البشر رفضت هذا المبلغ يوميا لصاح فيهم الصراف: آه .. ياغجر!!

من المهم أيضا ألا نحكم على الشخص من دخله ولكن من وضعه الاجتماعى الذى يحتم إنفاقا كبيرا. هذه الطبقة التى صحت أنت فى وجهها: آه.ياغجر، قد تحتم عليها ظروفها أن تنفق فى اليوم الواحد أكثر من خمسة آلاف جنيه، أوكد لك أنها طبقة منسحقة نسبيا تعانى شظف العيش، أقصد تعانى شظف البقلاوة، ولقد تنبه شخصى الضعيف عند بداية تكوين هذه الشركات إلى خطورة إطلاق اسم"القابضة"عليها، فكتبت أقول: بعد أربعين عاما من عمليات القبض منا والقبض علينا، أصبحنا ننظر بحساسية زائدة لكلمة "قبض" ومشتقاتها واقترحت عليهم مجموعة كبيرة من الأسماء للاختيار من بينها مثل، الشافطة، اللاهفة، السافقة، الماضغة، الملتهمة، البالعة، الهاضمة، الزالطة، " من الفعل زلط يزلط فهو زالط"كما أوضحت أنه فى حالة الإصرار على كلمة " القابضة" لابد أن نشرح بشكل مؤكد لطبقة المديرين أن هذا الاسم خاص بالشركات نفسها وليس وصفا لطبقة المديرين، فقد خفت أنه بمرور الزمن، أن يقدم أحد المديرين نفسه قائلا: أنا المدير القابض بشركة كذا.

وأخير ياعزيزى، أنا أقدر غضبك وسخطك ولكن هناك بعد إذنك ألفاظا لايجب أن ننطقها أو نكتبها مثل،آه.يا غجر فلايجب تحت أى ظرف أن نكتبها لقرائنا فى مقالاتنا.

ومع كل ذلك، أنا أعترف بصراحة أننى أيضا بعد قراءتى

لكلماتك أوشكت أن أصيح آه.. ياغجر، ولكنى كتمتها فى نفسى فليس من اللائق أن أنطقها أو أكتبها.

وعموما وباعتبارى احد المطالبين بحرية التعبير بغير سقف أو حدود أؤيد حقك فى أن تصيح أو تكتب جملة آه.ياغجر، بشرط أن يكون ذلك فى أضيق الحدود، يعنى مرة واحدة فى كل جملة.

أما أنا، فقلبى لايطاوعنى على نطقها أوكتابتها.

إلغاء الحكومة

خبر صغير في الصفحة الثقافية سوف ينشر في الجرائد يوم الثلاثاء ٢٥ يناير من عام ٢٢٢٥ عن مناقشة رسالة الماجستير الخاصة بالباحث الاجتماعي إبراهيم عبد ربه، بعد ذلك تنشر فقرات من رسالته. وقد استطعت أن أقفز إلى الأمام داخل الزمن بقوة الخيال لكي أكتب لكم بعض ما قاله الباحث في رسالته...

أساتذتي الأجلاء، حرصت في عجالة على أن أستعرض ما تم في مصر في المائتي عام السابقة، بالطبع هذا الجيل لا يصدق أن الكهرباء التي يحصل عليها الآن مجاناً تقريباً من الهواء الجوي مباشرة بواسطة جهاز "الكهروهواء" والذي لا يتجاوز ثمنه عدة قروش، هذه الكهرباء كانت غالية جداً فقد كانت تنتجها محطات ضخمة تتكلف الملايين. بل أن الشعب المصري من أجل هذه الكهرباء اضطر ذات يوم لإلغاء نهر النيل تقريباً من أجل الحصول عليها عن طريق ما كان يسمى بالسد العالي.

الواقع أن المصريين اضطروا لإعادة النظر في وظيفة السد

العـالى عندمـا اسـتـيـقظوا ذات يوم فلم يجـدوا نصف الوجـه البـحرى، فقد حدث أن البـحر آخذ يتقدم بثبات نحـو الدلتا إلى أن وصل إلى المنصورة، عند ذلك ظهر شـاب عبقرى اخترع مروحة مـائية هائلة الحـجم، متـحركة وضـعـهـا فى بحيـرة السد العـالى لتقليب الطمى فى البحيرة فعاد الطمى مرة أخرى يغطى أرض الوادى فتراجع البحر وجاء السردين وقلت حالات الفشل الكلوى إلى حد كبير واختفت إلى الإبد مشكلة المياه الجوفية وانـهيار المصارف والسدود. إن الجيل الحالى لا يتصور أنه كانت هناك أهرامات فى مصر وآثار عظيمة إسلامية وقبطية ورومانية كلها اندثرت نتيجة للمياه الجوفية، ولكن من حسن حظنا أن المراجع التاريخية والجغرافية حفظت لنا الصور الفوتوغرافية لهذه الآثار العظيمة، كل ذلك حدث قبل زلزال أسوان الشهير الذى حدث عام ٢٠٠١ والذى قضى نهائياً على السد العالى وأنهى إلى الأبد ذلك العدوان الأحمق على البيئة.

ولكن يقال أن النهضة الحديثة فى مصر حدثت على أثر ذلك القانون المهم الذى صدر فى عام ١٩٩٦ من مادة واحدة هى تنشأ فى مصر وزارة اسمها وزارة إلغاء القوانين واللوائح والقرارات الإدارية ووظيفتها هى إلغاء كل القوانين والقرارات المقيدة لحرية العـمل، ومن الطريف أن العـاملين فى هذه الوزارة لم يكونوا يحصلون على مرتبات أو أجور وإنما حوافز فقط بدون حد

أقصى، كل من يثبت أن هناك قانوناً أو قراراً أو لائحة تمنع العمل أو تقيده أو تجعله بطيئا كان يحصل على ألف جنيه فى التو واللحظة، من الغريب أن كل العاملين فى هذه الوزارة أصبحوا جميعاً من أصحاب الملايين، وكان الوزراء وكبار المسئولين يخشونهم ويفزعون منهم أكثر من خوفهم وفزعهم من الرقابة الإدارية ومباحث الأموال العامة. والمتتبع لصحافة ذلك الوقت يفاجأ بأن مجلس الشعب كان يقوم بإلغاء حوالى خمسين قانوناً كل يوم. وفى ظرف خمسة أعوام فوجئت مصر بعشرات الآلاف من المغتربين العرب والأجانب يأتون من أرجاء المعمورة ليقيموا المدن والمزارع فى الصحراء.

أما حكاية السمك والجمبرى والكابوريا التى تباع مجاناً تقريباً فى الأسواق فلها هى الأخرى قصة طريفة. أحد الموظفين فى وزارة إلغاء القوانين اكتشف القوانين واللوائح والقرارات الإدارية التى تمنع الناس من إستغلال البحيرات ومياه البحار المحيطة بالبلاد. كانوا حوالى خمسة آلاف قانون ولائحة أثبت هذا الموظف أنها تمنع الناس من العمل. وقام بمناقشة كل الوزراء ووكلاء الوزارات فى ندوة علنية فى التليفزيون استمرت خمسة أيام بلياليها وأثبت أنه من المحتم إلغاء هذه القوانين واللوائح. فى نفس الليلة صرفت له حوافز مقدارها عشرون مليون جنيه. أخذها واستقال ثم أقام شركة مصر لصيد خيرات البحار

والبحيرات وعلى الفور اندفعت رؤوس الأموال لتدعيم هذه الشركة وتضاعف ثمن السهم فيها خمس مرات فى عدة شهور. وبعد زراعة الصحراء ارتفعت صيحات تطالب بالحفاظ على جزء من الصحراء لكى تراها الأجيال الجديدة بعد أن فشل طلاب الثانوية العامة فى الإجابة على سؤال بسيط." هل تعرف الرمل؟ صف الصحراء" أما القرار المدهش الذى سبب صدمة مروعة لكل موظفى الحكومة فقد كان ذلك القرار الشهير: إلغاء الحكومة فقد لاحظت القيادة السياسية أن إنتاج البلاد يزيد يومى الخميس والجمعة. وأن حركة رأس المال تنتعش فى هذين اليومين، وأن البلاد لا تعانى من أى توتر بدليل انخفاض عدد الحوادث، وجاءت لجنة من الأمم المتحدة لدراسة هذا الأمر وكان من رأيها أنه فيما عدا الدفاع والأمن والصحة والتعليم والخارجية، فلا داعى لوجود بقية الوزارات، وعليه، فقد أصدرت توصيتها بإلغاء الحكومة.

شعر الوزراء وكبار الموظفين بالفزع وعرضوا أن يعملوا مجاناً، وطلب بعضهم أن يدفع مبلغاً كبيراً من المال مقابل عدم إلغاء وزارته ولكن القيادة السياسية رفضت بحزم.

والآن أيها السادة، وأنتم تشاهدون بأنفسكم على شاشة التليفزيون رئيس الولايات المتحدة الأمريكية يزور مصر متوسلاً من أجل إعادة جدولة الديون المستحقة لمصر على أمريكا.. الآن وأنتم تشاهدون ملكة إنجلترا والدموع تملأ عينيها وهى تطلب

قروضاً وخبراء من مصر وتطلب إلغاء الديون القديمة، الآن فقط تعرفون أن إنشاء وزارة كل مهمتها هو إلغاء القوانين كان الخطوة الأولى فى نهضة مصر الحديثة.

الصدق الكاذب

مرّ كشاف الغاز على البيت لقراءة العداد، فلم يجد أحداً، فترك ورقة صغيرة فيها رقم التليفون الذى نتصل به ونبلغهم برقم قراءة العداد، وهذا أمر طيب للغاية، وخطوة متحضرة ومتقدمة على طريق العصر، ولكن التليفون مشغول طول الوقت، لا بأس، لابد أن المصريين جميعا يتصلون بهذا الرقم طول النهار. تحت إلحاح شديد من زوجتى ذهبت بعد عدة أيام لتبليغ القراءة بنفسى، تناول منى الموظف الورقة، ألقى عليها نظرة سريعة ثم أعادها إلى قائلاً: القراءة فى الشهور الفردية فقط؟!..

- نعم؟ ماذا تعنى بالشهور الفردية؟

رد الرجل بهمس وكأنه خجل مما يقول: يعنى كل شهرين.

على الفور ارتسمت الصورة متكاملة وواضحة فى ذهنى، كل المسئولين يتكلمون عن شرائح الاستهلاك..

هل تشكو من فاتورة الكهرباء؟! هل تشكو من فاتورة استهلاك الغاز؟

السبب فى ذلك راجع لك أنت.. أنت تستهلك كثيراً بما يرفعك لشريحة أعلى، هنا سيحرص المواطن الصالح الساذج على أن يضبط استهلاكه لكيلا يتعدى الشريحة المعقولة التى تتحملها ميزانيته، ماذا نفعل لهذا المواطن الساذج الذى يتصور نفسه ذكياً؟ ماذا نفعل لكى نرغمه على الارتفاع باستهلاكه لشريحة أعلى بالرغم من كل حرصه وذكائه الشرائحى؟

بسيطة، نقرأ العداد كل شهرين.. ولكن لا داعى لأن نعلن ذلك بوضوح، سيصرخ ألماً وفلساً، سنخترع له تعبيرا أخر محيرا ولذيذاً، القراءة تتم فى الشهور الفردية، سيقبل المسكين ذلك متصوراً أن الشهور الفردية نوع جديد من الشهور المستوردة، تدعيماً لشهورنا القديمة العربية والقبطية والميلادية، أو أن الشهر الفردى هو التسمية الجديدة لشهر العسل. وتأتى الفاتورة مرتفعة لحد مفزع فيلجأ المواطن المسكين لبريد القراء ويصرخ: فاتورة الغاز نار.

وهنا يرد عليه المسئول ببساطة... مش نار ولا حاجة، دى حتى مثلجة.. إنها مجرد تصورات فى خيال سعادتك لا صلة لها بالواقع.

ويبدأ المسئول بشكل موضوعى تماماً فى سرد الحقائق الموضوعية لطريقة حساب الاستهلاك من خلال الشرائح بأرقام محددة وبنسب مئوية صارمة، وهو صادق تماماً فيما يقول إلى

أن يأتى لما أسميه منطقة الصدق الكاذب.. "ويتم مرور الكشافين والمحصلين على مقار سكن العملاء بصفة دورية وفقاً للبرنامج الزمنى المعد لذلك، كما أن تواريخ مرورهم محددة" تأمل الجملة، تجدها صادقة تماماً وتجدها أيضاً كاذبة لأنها امتنعت عن ذكر الحقيقة. المسئول هنا يريد أن يهرب من قول الصدق الصادق الذى هو ببساطة "يمرون كل شهرين" وفى الوقت نفسه يريد أن يهرب من الكذب الكاذب فيلجأ لوصف الواقع وليس ذكر الواقع نفسه، فكلمات مثل دورية، ومحددة، وفقاً لبرنامج زمنى، ليست الحقيقة الواقعية ولكنها أوصاف لها.

وفى نهاية الرد يعلن المسئول أنه من دواعى سروره أن يرسل الجمهور باقتراحه لتحسين الخدمة، وهأنذا اقترح عليه الاقتراح التالى: اقرأوا العداد كل شهر ياسيدى.

أو أعلنوا على الناس أنكم تقرأون العداد كل شهرين. أسوق هذه الواقعة للتدليل على حالة عقلية خطيرة يمر بها العقل المصرى، وهى منهج التفكير الكاذب بشكل صادق، أو منهج الكذب الذى نتناوله بكل صدق. هذا المنهج فى التفكير والتعامل مع الواقع يحولنا جميعاً إلى مجموعة من المحتالين ويفقد الجميع الثقة فى الجميع، هذا هو ما استبقيناه فى عقولنا من فترة الحكم الشمولى، وهو أمر خطر للغاية على حاضرنا ومستقبلنا إذا كنا نصر على أن يكون لنا مستقبل، إذا وجدنا من السهل علينا

اللعب فى مواصفات قطعة جاتوه، سيكون سهلاً علينا أن نلعب فى مواصفات نفق يمر تحت الماء.

أتصور أن السبب فى ذلك هو أننا نرتدى ثياب التسعينات من الخارج بينما ملابسنا الداخلية تنتمى لأقمشة الستينات، المتغير الوحيد الذى حدث هو أننا ازددنا تهذيبا فى التعامل مع البشر، كنا نذبحهم بسكاكين ثالمة، أما الآن فنحن نحرص على تبنيجهم قبل الذبح، كنا أكثر خشونة فى الإعلان عن وحشيتنا فى الستينات، لو أن شخصا رفع صوته بالشكوى من أى شئ، قيل له على الفور: عاجبك ولا مش عاجبك؟ احنا كده.. عاوز حاجة؟!

أما الآن فنرد عليه ردا طويلا مهذبا مدعما بالأسانيد نثبت له فيها أنه مخطئ وإنه لا حق له فى الشكوى ولكى نثبت له أننا أكثر منه تهذيباً وكرما وموضوعية، نطلب منه أن يتقدم باقتراحاته لخير الجميع. فى الستينات كنا كاذبين تمام الكذب أو صادقين تمام الصدق، تبعا للموقف الذى نمر به أو يمر بنا، أما الآن فإننا نكذب بكل صدق ونقول الصدق بكل كذب فى كل المواقف، ياله من مجهود عصبى عنيف.

بقى سؤال.

لو أننا – نحن المصريين – نمتلك أسهم شركة الغاز، هل كان أى مسئول فيها سيجد نفسه مضطراً للصدق الكاذب أو الكذب الصادق.

الناجون من الحياة

استطعت الوصول إلى أوراق الحزب الجديد "الناجون من الحياة" الذى تقدم به الأستاذ شقلوب الشقلباظ إلى لجنة الأحزاب فى مجلس الشورى، والحزب كما يبدو من اسمه له هدف محدد هو الانسحاب من الحياة وإعداد المواطنين إعداداً كافياً لملاقاة الموت تحت شعار أن الحياة فانية.

هكذا استطعت الوصول إلى محضر النقاش الذى دار بين مسئول لجنة الأحزاب والسيد شقلوب الشقلباظ وكيل المؤسسين للحزب الجديد، وبهذه المناسبة قد يكون من الضرورى أن أنبه القارئ إلى أن كاتب هذه السطور ليس مسئولاً عن كل الآراء التى سترد فى هذا المحضر.

ع٠ س٠

بتاريخ كذا وبمعرفتنا نحن (...) رئيس لجنة الأحزاب استدعينا السيد شقلوب الشقلباظ وكيل المؤسسين لحزب "الناجون من الحياة" لمناقشته فيما عرض علينا من برنامج الحزب ودار بيننا النقاش على النحو التالى:

* ياسيد شقلباظ، ما هو الهدف من إنشاء هذا الحزب، وما هو الجديد فى برامجه؟ وهل تعتقد أن مبادئه ليست متضمنة فى برامج الأحزاب الأخرى؟

- إن الهدف الأساسى لحزبنا ياسيدى هو التخلص من الحياة والقضاء عليها.. فالحياة مؤلمة ومحبطة ومليئة بالذنوب والمعاصى والخطايا، وهى فى كل الأحوال تنتهى بالموت، إذن الهدف النهائى للحياة هو الموت، البشر يخطئون عندما يهتمون بالحياة..

* ماذا تقصد بجملة "يهتمون بالحياة"؟

- يعنى يشتغلون بالزراعة والصناعة والتجارة وما أشبه.. هذه كلها أمور فيها اهتمام بالحياة وهى ضد مبادئ حزبنا.. إن وظيفة الإنسان كما يراها حزبنا هى الاستعداد للموت منذ تلك اللحظة التى يولد فيها.

* هل نفهم من ذلك إنك تريد تحويل مصر إلى قرافة كبيرة؟

- بالضبط، لذلك ستجد أن مشروعنا الأول فى كل القرى والمدن سيكون مشروع إنشاء الألف مدفن..

* وماذا عن مناهج التعليم، والفن، والمخترعات الحديثة.. والفنون التشكيلية؟

- نحن لسنا جهلة، إن لنا رسالة سامية، سنزرع الزهور فقط ونستورد القمح وبقية ما يؤكل.. يجب على العالم أن يزرع وعلينا أن نأكل.. أما الزهور فلابد أن نزرعها نحن لنجد ما نضعه على المقابر، وفي الطب سنحذف كل أنواع العلاج التي تطيل الحياة بلا مبرر، أما الفنون التشكيلية فسنوجهها لكل ما يخدم مبادئنا، سنقيم مسابقات ذات جوائز مالية ضخمة لأجمل تصميم مدفن وأجمل قرافة، كما سنقيم في مدخل كل مدينة تمثالاً للثعبان الأقرع.

* هل نفهم من ذلك إنك تتنكر لهذا العالم بكل إنجازاته واختراعاته وعلومه؟

- نعم، أتنكر وله وأرفضه، لأننا نرفض العلمانية، والعلمانية، ليست من العلم كما يدعى العلمانيون الشيوعيون الأوغاد ولكن من العالم.. نحن نرفض هذا العالم.

* ولكنك تصبغ شعر رأسك بصبغة ممتازة، وهذه الصبغة صنعت في هذا العالم وليس في عالم آخر، صنعت في هذا العالم بواسطة مجموعة من العلماء درسوا علوم هذا العالم الكيميائية، وبذلك أتاحوا لك الفرصة لكي تبدوا شابا أمام كاميرات التليفزيون، ولو أنك حقيقة تحتقر الحياة وتتوق للذهاب للعالم الآخر، لماذا تحرص على أن تبدو شاباً؟

- لست أحرص على الحياة من أجل نفسى.. فالحياة بالنسبة لى لا تساوى شروى نقير.. ولكن من أجل أعضاء الحزب.. لابد أن أظهر أمامهم فى صورة جميلة لكى يقتنعوا بآرائى.

* والملابس الأنيقة التى ترتديها، هى أيضاً صنعها ترزية مبدعون، ينتمون لهذا العالم وليس لعالم آخر، وكاميرات التليفزيون وأجهزة الإضاءة التى تتسلط على وجهك الوسيم الحزين فى التليفزيون صنعها علماء ينتمون لهذا العالم، وليس لعالم آخر، والصفحات التى تكتبها فى جرائدنا ويطبعونها لك بالخط الأسود الثقيل، هى أيضاً قبل أن تصل للقارئ لابد أن تمر على مجموعة كبيرة من الاختراعات الحديثة أبدعها علماء ينتمون لهذا العالم وليس لعالم آخر، وحتى البنوك التى تضع فيها أموالك، تستعين بمجموعة من الاختراعات صنعها بشر ينتمون لهذا العالم وليس لعالم آخر.. و.. و.. و.. هل تستطيع أن تفسر لنا ذلك؟ كيف تكون مستمتعاً ومستفيداً إلى هذا الحد بمعطيات هذا العالم ثم ترفضه؟

- أنا لم أرفضه، أنا أرفض العلمانيين.

* ولكنك تعترف أن العلمانيين جاءت تسميتهم نسبة لهذا العالم..؟

- على العموم أنا أوكد للجنة الموقرة إننى لست مستمتعاً بكل

ذلك، يعلم الله إننى لم أعرف طعم السعادة منذ وقت طويل..

* ونحن نصدقك.. نصدقك فى هذه الجزئية فقط، نعم أنت غير مستمتع بكل ما أنت فيه من شهرة وقوة وكمال ونفوذ.. أنت عاجز حتى عن الابتسام.. وحتى عندما تفعل تبدو أكثر حزناً وعذاباً.. لماذا؟.. هل تعاني من آلام القولون.. أو أي مرض آخر؟

- لا والحمد لله.

* إذن آلامك مصدرها النفس وليس الجسد.

- لم أقل إنى متألم..

* ولكنك قلت إنك غير مستمتع بكل ما أنت فيه من قوة ونفوذ ونعيم وشهرة.. هذا معناه إنك تتألم.. هذا هو مافهمته اللجنة من كلامك.

- لست مسئولاً عما تفهمه اللجنة.. أنا مسئول عما أقول.

* نعم ومسئول أيضاً عما تكتب، أنت تجرى حسابات كثيرة عندما تكتب، تقسم مقالتك إلى أعمدة وفقرات، عمود مع التطرف ثم عمود مع الاعتدال.. عمود مع الحكومة ثم عمود ضدها، فقرة مع الحياة ثم فقرة ضدها.. فقرة مع العلم ثم فقره ضده، ملعقة من العسل ثم لحسة من السم.. هل أنت متطرف؟

- لا طبعاً.. أنا فى غاية الاعتدال.. المتطرف هو الذى يحمل

جنزيراً وخنجراً ومدفعاً..

* لا ياعـزيزى.. هذا هـو المجـرم، أمـا المتطرف فـهـو الذى يساهم فى خلق المناخ الذى يحتم ظهور هؤلاء المجرمين التعساء.. بالتـأكيـد أنت من صناع هـذا المناخ.. هذا المناخ الذى يحض فى كل لحظة على كراهية الحياة والعلم والعالم.

-إننى أحتج على وصفى بالتطرف.. أنا معتدل.

* نعم، مثل أشـهر المعتدلين فى مصر، الذين كانوا يقسمون على المسدس فى الغرفة خافتة الإضاءة، هل تراهم كانوا يقسمون على مراعاة الاعتدال؟

- لست منهم، ولست مسئولاً عما يفعلون.

* نحن لا نحاكمك، ولا نحقق معك، نحن نحاول التعرف على مصدر عـجزك عن الاسـتمتاع بالحيـاة والعالم الذى ترتب عليه كراهيتك لهما.

هل يكون السبب هو أنك الوحيد الذى يعرف أنه يخدع نفسه؟ إن الإنسان قد يستمتع بالحياة بالرغم من أكاذيبه التى يسلطها على الآخرين، ولكن المشكلة عند أصـحـاب الضـمـائر الموهوبين وأنت منهم، أنهم عندما يخدعون أنفسهم يتعذبون ويستولى عليهم الشقاء، عند ذلك يعملون بوعى أو بغير وعى على تسليط العذاب على الآخرين.

وعموماً سنكتفى بهذا القدر من الحوار ونستكمل نقاشنا فى جلستنا القادمة بإذن الله.

وعليه، أغلق المحضر فى ساعة تاريخه.

آه.. يالعبة الكلمات

اتصل بى تليفونياً وحدد موعداً للقاء على المقهى، وعندما جاء فى الموعد المحدد بالضبط دخل فى موضوعه مباشرة وقال: أنا رجل أعمال أجنبى واسمى "بيتر ذا وولف".. وأريد أن أفاتحك فى مشروع.

- إتفضل..

- أريد أن أشترى أحد الفنادق المعروضة للبيع وأريد رجلاً مصرياً لمشاركتى.

- أخطأت الطريق ياعزيزى الذئب "ترجمة اسمه" ليس معى جنيه واحد أشاركك به..

- لن تدفع مليماً واحداً الفلوس عندنا أكثر من الهم على القلب.. أريدك واجهة، يعنى الفندق يبقى بتاعى فى الحقيقة وبتاعك أمام الناس..

- لماذا..؟

- لسببين، السبب الأول أنه لا يوجد مكان فوق الأرض

نستثمر فيه فلوسنا إلا مصر، والسبب الثانى والمهم أننا نريد استعمار المصريين اقتصادياً وتسويد عيشتهم وتدمير حضارتهم والعدوان على قيمهم وتقاليدهم.

– ولكن لماذا كل هذا الشر ياعزيزى الذئب..؟

– سأحدثك بكل صراحة.. لأننا أشرار، وغير مسموح لنا بممارسة الشر فى بلادنا، أعترف لك أننا نحن أبناء الحضارة الغربية أوغاد لا أخلاق عندنا ولا نبل ولا شرف، نحب الإهمال والفساد ونعشق التسيب ونشعر بلذة خاصة فى العدوان على الآخرين، وخاصة أصحاب الحضارات القديمة العظيمة مثلكم، الذين يحيون حياة هادئة مستقرة، منتجة، نبيلة..

– كيف تقول إنكم أشرار بطبيعتكم وتقول فى الوقت نفسه أن القوانين فى بلادكم لا تسمح لكم بممارسة الشر وإيذاء الناس؟!

– هذه هى المشكلة، القوانين السائدة فى مجتمعاتنا تحتم الخير والإنتاج والنبل، ولذلك لابد من العمل بعيداً عن هذه القوانين، يعنى لابد من العمل عندكم لنستمتع بممارسة الشر المتأصل فى نفوسنا.

– هل تعتقد إننى سأسمح لك بتنفيذ مشروعك الإجرامى؟.. أى شيطان صور لك إننى سأسمح لك بتسويد عيشة المصريين وحرمانهم من الاستمتاع بما هم فيه من نعيم، وهناء..؟

- نعم.. عتقد إنك ستسمح لى بذلك.. سأدفع لك مبلغاً يجعلك قادراً على التفكير على نحو مختلف..

- مستحيل..

- سأعطيك مبلغاً يجعلك ترى الذئب حملاً والصقر عصفوراً واللون الأسود ناصع البياض..

- مستحيل..

- سترى مياه البحر وقد تحولت لسلطة طحينة، بل أن هذا المبلغ سيلغى عقلك تماماً فلا تعرف الحدود الفاصلة بين الحق والباطل، أو بين الصح والخطأ أو بين الليل والنهار، بل قد ترى النجوم ترصع صفحة السماء فى عز الضهر الأحمر، كما ترى القمر طالعاً بالنهار والشمس ساطعة فى عز الليل..

- أنت لا تعرف مع من تتكلم ياعزيزى الذئب.. ولا أموال قارون بقادرة على إصابة تفكيرى بالخلل، ولا دولارات العالم تستطيع أن تجعلنى عاجزاً عن معرفة الحدود بين الحق والباطل أو بين الخطأ والصواب.. أنت تنشد المستحيل..

- لاتصادر على المطلوب، أنت تتمتع بعقلية علمية.. وفى العلم، التجربة هى الفيصل.. سأضع الآن الفلوس أمامك، إذا لم تكتشف إنك تفكر على نحو مختلف، وأن تفكيرك أصبح أشبه بطبق البالوظة الرجراج، سأنصرف من أمامك وأغادر المكان

بفلوسى ومشروعى لأبحث عن شريك آخر.

قال ذلك وفتح حقيبة سفر كبيرة، كانت ممتلئة عن آخرها بالدولارات.

- مليونان من الدولارات.. عربونا للصداقة والمحبة، سنضعها فى حسابك فى أى مكان فى العالم.. أو خذها أنت احتفظ بها فى المكان الذى تشاء.

شعرت برعشة تسرى فى جسدى وكأنى لمست سلكاً كهربياً مكشوفا، هرب منى صوتى، مرت لحظات فقدت فيها القدرة على النطق.. أظلم عقلى تماماً، إنه نفس الشعور الذى تشعر به عندما تنقطع الكهرباء فجأة وتسود الظلمة. بالتدريج عادت الكهرباء، بدأت المصابيح تضئ فى عقلى واحداً بعد الآخر، أخذت أرى زوايا جديدة للموضوع، من الخطأ أن نتصور أن الحقيقة لها وجه واحد. أصحاب العقل البدائى وحدهم هم الذين يتصورون أن الشئ إما أن يكون أبيض أو أسود، الواقع أنه بينهما درجات عديدة من الألوان، الحقيقة المطلقة لا وجود لها، الحقيقة نسبية، لا أحد يستطيع أن يزعم أنه يمتلك الحقيقة كلها، والعلم نفسه ضد اليقين، من الجهل أن أقول إننى على حق كل الحق وأن هذا *الرجل على باطل كل الباطل، مليونان من الدولارات؟!!* يعنى سأركب السيارة التى حلمت بها زمناً طويلا وأشترى الشاليه

وأتخلص من ذلك الاحـسـاس المؤلم الذى لازمنى طوال عـمـرى بالخوف من الغد.

* ولكنه رجل شرير...

– هو الذى قـال عن نفـسـه أنه شـرير، ولكن هل هذه هى الحقيقة؟! أليس من الجائز أنه رجل طيب وخيّر مصاب بعقدة تجعله يعتقد أنه شرير، بالتأكيد هو رجل طيب وخيّر والدليل على ذلك أن الأشـرار لايعلنون مطلقـاً عن حـقـيـقـتـهم، من الخطأ أن نصدق كل مـايقال لنا، ولنتحرى الدقة عندما نصدر أحكامنا على البشر، ولنفرض جدلاً أنه شرير هل أتركه يبحث عن شرير آخر لا يتمتع بأخلاقى وفضـائلى، لايجب أن أتركه يغيب عن عينى، فى هذه الحـالة لابد أن أشـاركه فى مـشـروعه لكى أمنعـه فى الوقت المناسب من تنفيذ مخططاته الإجرامية.

– وإذا اتضح لك بجـلاء أنه شـرير ومـجرم وأنه ينفـذ مـخططاً إجرامياً.. هل ستبلغ أجهزة الأمن؟

– فوراً بـالطبع.. ولكن لاداعـى للتسـرع، علىّ أن أحـصـل على الأدلة الدامـغة على ذلك وهذه المسـألة بالطبع قد تستـغرق أعوامـاً طويلة..

عند ذلك الحد من التفكير كان الرجل ينظر لى بهدوء منتظراً إجابتى ثم قال أخيراً: هل ستأخذ الفلوس؟

- نعم، سآخذها ولكنى أؤكد أنها لن تجعلنى أفكر على نحو مختلف أو أغير مبادئى..

- المهم هل ستشاركنى فى مشروعى؟

- على خيرة الله..

وهنا قال: المهم، هذا المبلغ لن يكون ملكاً لك إلا بعد الحصول على موافقة الجهات المسئولة عن مشروعنا.

- بسيطة، سأحصل على الموافقات.

يبدو أن ذلك الرجل شرير فعلاً، لأننى مازلت أسعى للحصول على الموافقات المطلوبة منذ عدة سنوات ولم أفلح فى ذلك.

الفراش العظيم

الدنيا حظوظ. كنت دائماً أنظر بشك لهذه القاعدة الحياتية فأنا أعتقد أن حظ الإنسان يتحدد طبقاً لكفاحه الشاق من أجل العلم والنفوذ والمركز المرتفع أو المال. بمعنى إنك تستطيع أن تحصل على حظ أكبر فى الحياة بالمزيد من الرفعة الاجتماعية. ولكن اتضح لى أننى واهم. إن المركز الاجتماعى والدرجة الوظيفية لاشأن لهما بالمرة بنصيبك فى هذه الدنيا. فقد تكون وزيراً أو حتى رئيساً للوزارة ولاتنعم بما نَعِم به ذلك الفراش الشهير الذى قرأنا عنه مؤخراً فى الصحف.

سيادته تمكن عن طريق الدجل والشعوذة من الزواج من ٢٠ سيدة "عشرين سيدة" نعم، عشرون سيدة من بينهن سيدة تحتل منصب مدير عام. عشرون سيدة يا أعزائى منهن السمراء والبيضاء، والقصيرة والطويلة، متوسطة الطول، والنحيلة، الممتلئة والبدينة، الخمرية والقمحية، الرشيقة وذات الخطوات البطيئة كما البطة، الذكية والغبية، خفيفة الدم وثقيلته، وكان من الممكن أن يستمر فى حياته متزوجاً من يشاء فى مدينة السويس ثم ينتقل

إلى بقية مدن وادى النيل. إذا كان لدى سيادته هذه القدرة التأثيرية الخرافية على الجنس الآخر فمن المؤكد أنه كان قادراً على الانتقال إلى بقية الدول والقارات ممارساً هوايته لولا أن السيدة المدير العام أبلغت النيابة أنه سرق مصوغاتها كما سرق مصوغات وأموال كل زوجاته السابقات.

السويس مدينة صغيرة، وهي ككل المدن الصغيرة، لاأسرار فيها وكل سكانها يعرفون بعضهم البعض. هى بالطبع تعلم أنها رقم ٢٠ فى الطابور وتعرف أنه سرق الأخريات ولكنه الضعف البشرى والخواء الروحى اللذان يصوران للأنثى الجاهلة أن حظها لن يكون مثل حظ الأخريات. على الأقل لأنهن لسن مديرات عموم. تقول السيدة: "لجأت إليه لحل إحدى المشاكل التى تعانى منها، وبعد إنصرافها عادت إليه بعد عدة إيام، إذ شعرت بقوة خفية تجبرها على الامتثال له وإطاعة كل ما يأمر به رغم الفارق الاجتماعى الكبير بينهما وانتهى الأمر بزواجهما. والسؤال هو: هل قدمت شكواها لأنه أستولى على مصوغاتها؟

على الأرجح هى كانت على استعداد للسكوت - حرصا على بيت الزوجية - إذا توقف الأمر عند ذلك.. ولكنها أضافت فى الشكوى أنها "لاحظت" - خذ بالك من كلمة لاحظت - تردد عدد كبير من السيدات عليه فى أوقات متأخرة من الليل ليمارس معهن أعمال الدجل والشعوذة وعمل الأحجبة التى تجعلهن مجذوبات

إليه، مفتاح القضية في الجملة الأخيرة، كانت تتصور أنه سيتوقف عند الرقم عشرين ولكنها فوجئت به مستمراً في طريقه في اتجاه الضحية الواحد والعشرين والمائة واحد وعشرين ليس هذا فقط بل اتخذ من بيتها مسرحاً للعمليات ورسم الخطط الجديدة. عند ذلك تقدمت بالشكوى.

بالطبع تم القبض على الرجل وتم تحريز أدوات الشعوذة والدجل واعترف بكل ماجاء بالشكوى ولكنى أتصوره يقف في المحكمة مدافعاً عن نفسه: ياجناب القاضى، لم أرتكب إثماً، لم أعتد على أحد. أنا المجنى عليه، كل واحدة من هؤلاء طاردتنى بكل السبل وأوقعتنى فى حبائلها إلى أن تزوجتنى، بعد ذلك كانت الخلافات تثور بيننا فأطلقها، أما المصوغات والفلوس ياحضرة القاضى فلم أسرقها، هن اللاتى كن يصررن إصراراً على أعطائها لى. من المعروف أن المرأة المخلصة تعطى نفسها وكل ما تملك لزوجها. ما هو الغريب فى ذلك؟

زوجتى المدير العام تقول إننى تزوجت ١٩ من قبل، بصراحة أنا لست أذكر الرقم بالضبط.. فلم يكن لدى وقت لكى أكتب أسماء زوجاتى.. قد يكون عددهن أكثر من ذلك بكثير، والسؤال هو؟ ألم تكن تعرف ذلك قبل أن تتزوجنى؟ هى تقول أنها شعرت بقوة خفية تجبرها على المجئ إلى والزواج منى، أليس هذا هو ما يسمونه الحب؟ تلك القوة الخفية التى تجذبك لشخص آخر، هى

التي شعرت وليس أنا، وهي التي جاءت وليس أنا، هي التي أحبت وليس أنا، تقول النيابة إنني استوليت عليها وعلى غيرها بالدجل والشعوذة، لماذا لم أستطع أن أفعل ذلك مع الضابط الذي قبض على ووكيل النيابة الذي حقق معي؟ لماذا فقدت سحري في مواجهة الشرطة والنيابة؟ الإجابة هي، لأنني رجل بسيط، ضعيف، ضحية. لماذا إذن قبضوا عليَّ قبضوا على بدافع من الحسد والحقد لأنهم ليسوا محبوبين مثلي، ليست لديهم قدرتي في اتخاذ القرار في التخلص من زوجة والزواج من أخرى، هم يخشون زوجاتهم فما ذنبي أنا؟..

قد يحصل الرجل على البراءة لخطأ في إجراءات القبض عليه، أو تطول إجراءات المحاكمة ويتزوج خلالها من ٣٠ سيدة أخرى، وقد ينتهي الأمر بسجنه لعدة شهور، في هذه الحالة يمكن التنبوء بأن عدداً هائلاً من النساء سيزرنه في السجن يحملن إليه كل مالذ وطاب على أمل أن يعود لواحدة منهن.

ياعزيزي الفراش العظيم لوأنني في عصر شكسبير لطلبت أن أكون واحداً من تلاميذه، لكني أعيش في عصرك أنت، عصر الغيبوبة، عصر التدهور العقلي، خذني واحداً من تلاميذك ومريديك، خذني فراشاً عندك، خذني مساعداً أو حتى صبياً تلقى إليه بما يفيض عن حاجتك، علمني، درِّس لي. دعني أقرأ على يديك إشرح لي كيفية فهم المرأة والتأثير عليها، فقد فشلت في

ذلك أنا القارئ الدارس لكل الفكر الإنسانى فى كل العصور.

أيها الرجل الفذ العظيم.

كم أحسدك.

عجول متعددة الرؤوس

أحيانا تتفجر تحت أقدامنا مناجم الذهب والماس وآبار الثروة فلا نتنبه لها ونمضي في طريقنا غافلين متجاهلين أن وظيفة العقل البشرى الأساسية هى التنبه لإمكانيات الثروة المحتملة باستخدام القليل من الخيال المستند للواقع، أقول ذلك تعليقا على ظاهرتين حدثتا في مصر أخيراً، الأولى هى القطة التى تكلمت فى قرية من قرى الشرقية، والأخرى هى العجل الذى ولد برأسين واجتذب اهتماما واسعا من وكالات الأنباء العالمية، بالرغم من أن الصورة التى نشرت للعجل فى جرائدنا كانت معتمة لدرجة أننى لم أستطع أن اتبين بها ولا رأس عجل واحد.

نظر الجميع للظاهرتين باعتبارهما من الظواهر الطريفة دون أن يفكر أحد فى استغلالهما على نحو يعود بالخير على الشعب المصرى. ولو أن هذه القطة وهذا العجل وجدا فى بلد من بلدان الغرب لحقق أهله المليارات من ورائهما.. كيف؟ سأقول لك.

كما قرأت فى إحدى الجرائد أن مصوراً صحفيا ذهب لتصوير القطة فقالت له متعابثة: إنت حاتصورنى ياوحش؟!

الواقع أننا كنا نعتقد – كما جاء فى الصفحة الأولى فى زميلة صباحية – أن الفتاة صاحبة القطة دربتها فقط على أن تقول.. نعم.. ولا.. وماما.. وبابا.. ولكن اتضح لنا أنها علمتها ما هو أكثر من ذلك. وبتحليل الجملة التى قالتها القطة للمصور الصحفى نستطيع أن نقول باطمئنان أنها قطة تتمتع بقدر هائل من الثقة بالنفس والاحساس بالألفة مع الآخرين، إذ لم تقل له "حضرتك حاتصورنى" بل قالت له "انت" كما لو كانت تخاطب صديقا قديما، واستخدامها لكلمة "ياوحش" يفيد أنها قطة شقية تشعر بقدر من الدلال نابع من الإحساس بالثقة الزائدة بالنفس، هى على وعى أنها القطة الوحيدة فى مصر التى تتكلم، بل الوحيدة على ظهر هذا الكوكب.

وقد تظن للوهلة الأولى أن جملتها للمصور تعنى عدم الرغبة فى التصوير، ولكن صياغتها تدل على أنها تهوى التصوير ككل الكائنات التى تتمتع بدرجة محببة من النرجسية، إنها درجة من التمنع تحوى رغبة أكيدة فى التصوير. السؤال هو، ماذا فعلنا للاستفادة بهذه الظاهرة؟ ماذا فعلنا لتحويلها لمصدر لمليارات الدولارات والفرنكات وبقية عملات الأرض؟ لاشئ، اكتفينا بنشر خبر صغير عنها فى الصفحة الأولى ثم صورة لها مع هذه الجملة التى قالتها للمصور. هذه القطة على وعى بأن هذا الشئ الذى يمسكه المصور فى يده يسمى بالكاميرا، وأن هذه الكاميرا تقوم

بتصوير الكائنات والأشياء ويخرج منها ما يسمى بالصورة، وكلمة "انت" التى قالتها للمصور تثبت أنها تعرف كيف تخاطب الآخرين، تعرف أن هناك كلمات مثل.. أنا.. أنت. هو.. هى.. أنتم.. إلخ، وتعرف الظروف التى تستخدم فيها كل كلمة، إن استخدامها لكلمة "ياوحش" يدل دلالة قاطعة على أن محصولها من حوار المسلسلات التليفزيونية لايستهان به. قطة بهذا الوعى وبهذه الإمكانيات اللغوية والعقلية، ألا نستطيع الاستفادة منها؟.. ألا يمكن بيعها للآخرين؟ ألا نستطيع بنفس المنهج التعليمى الذى استخدمته معها صاحبتها أن نجعلها تتقن اللغة الإنجليزية والفرنسية والألمانية وبقية لغات الأرض؟!

قد تقول أن ذلك قد يكون مجهدا لها، وقد يسبب لها ارتباكا فتتكلم العربية مختلطة بالانجليزية أو بالفرنسية أو تتكلم الألمانية بلكنة إيطالية، هذا اعتراض وجيه وإشكالية حقيقية لها حلول إذا كنا حقا عازمين على الاستفادة من الظاهرة. إذا كانت هذه القطة تنتمى لسلالة هى بطبيعتها قادرة على تعلم اللغات الحية والتعرف على مندوبى الصحف ومصوريها، فلابد من البحث فوراً عن القطة الأم والقط الأب وتحويل الأمر كله لمشروع كبير مستفيدين من منهج الفتاة صاحبة القطة فى التدريس والتدريب. بقليل من الجهد أو بجهد كبير فالأمر يستحق، نستطيع أن نحصل على قطة تجيد الانجليزية وأخرى تجيد الألمانية وثالثة

تجيد الايطالية، ثم نمضى قدما بجرأة فى طريق التخصص، هذه قطة تحفظ أعمال شكسبير نرسلها فى مهرجان كبير إلى انجلترا لتلقى منولوج هاملت وخطبة أنطونيو فى مسرحية يوليوس قيصر وأشعار إليوت وكولوردج.. وهذه قطة تحفظ أشعار جوتة نرسلها إلى ألمانيا.. وهذه قطة تحفظ أشعار المتنبى نرسلها إلى العواصم العربية وهذه قطة تحفظ أشعار ابن عروس وبيرم التونسى وصلاح جاهين. تنتدب فى الثقافة الجماهيرية وتقوم بجولة واسعة فى مدن وقرى الوجه البحرى.. وهذا قط (من الأفضل أن يكون قطا هذه المرة) يحفظ أشعار الأبنودى ويقوم بجولة كبيرة فى الصعيد.

ولكن التعليم وحده لا يكفى لخلق عقول قططية راقية، لابد أيضامن الاهتمام بلغة الخطاب عندها، وهنا قد يكون من الأفضل أن نرسل بكبار الأدباء والفنانين والمثقفين للحديث مع هذه القطط لضمان أن تكتسب مستوى راقيا من الحوار، لقد كان من الممكن لقطة الشرقية أن تقول للمصور "هل أنت تنوى تصويرى ياعزيزى؟" بدلا من تلك الجملة المبتذلة السخيفة التى قالتها، هناك بالطبع سلبيات للمشروع، بعض المسئولين سيسرقون القطط التى تجيد الكلام ويهربونها للخارج مثل الآثار ثم يضعون لنا فى المخازن بدلا منها قططا بلدية لا تجيد حتى النونوة ثم يزعمون فى التحقيقات أن هذه القطط هى ما تسلموه، أو أنها نسيت اللغة

لعدم التدريب، أو أنها قررت الانضمام للأغلبية الصامتة، ولكن هذه كلها سلبيات علينا أن نتعامل معها دون أن نسمح لها بتعطيل مشروعنا.

أريدك أن تتصور الثروة التي تتحقق من هذا المشروع، هل تسمح لي أن أمضي خطوة أبعد في طريق الخيال المستند للواقع.

نستطيع أن نتوسع في المشروع ولنسدد ديوننا قطعا وهذا يتطلب فقط أن نحتفظ بسر تعليمها وتدريبها فلا يتسرب لمخلوق خارج البلاد، لأن هذا السر إذا تسرب للآخرين فقد المشروع كله أهميته في لحظات وعدنا لعصور القطط الصامتة. يجب الحفاظ على سر تعليمها مثل سر مادة "الكولا" التي تحتفظ بسرها الشركة المنتجة.

لن نكون مطالبين بالعمل، لن نبذل مجهودا من أي نوع لتغيير واقعنا، القطط ستقضي في شهور عدة على العجز في الميزانية وتحقق لنا ما نريده من ثروة، كما لن نبذل مجهوداً للبحث عما نكتبه في الصحافة سنترك صفحاتها للقطط وبذلك نتفرغ لأعمال أخرى مفيدة. بالطبع ستظهر طبقة جديدة ثرية من مدرسي القطط الخصوصيين ومن أصحاب المعاهد الخاصة وستلمع أسماء جديدة من الناس ومن القطط.

أتصور أيضا أنه على المدى البعيد ونتيجة للاحتكاك والتفاعل بين ما نقوله نحن وما تقوله القطط، سيظهر جيل جديد على وعى بما يجب أن يقال وما لا يجب أن يقال على صفحات الصحف وباقى مناحى الحياة.

نأتى الآن لمشروعى الثانى للاستفادة من العجل الذى ولد برأسين وأنتهز الفرصة لأذكر القارئ بفيلم "ليلى بنت الأغنياء، أو الفقراء".

كان أنور وجدى فى هذا الفيلم يعمل صحفيا فى جريدة "البركان" لصاحبها "حسن فايق" فى المشاهد الأولى للفيلم شاهدنا أنور وجدى نائما على مكتبه فى الجريدة وقد علا شخيره وجاء صاحب الجريدة وأيقظه ثم أصدر قراراً بفصله لأنه لا يعمل، وهنا أخذ أنور وجدى يتوسل إليه ويطلب منه فرصة أخيرة يثبت فيها أنه قادر على العمل كمخبر صحفى، مضى يذكره فى حماس بنشاطه السابق فى الحصول على الأخبار المثيرة قال له من بين ما قال: لقد كنت أنا الذى جئت بخبر العجل الذى ولد برأسين.

وهنا رد عليه حسن فايق ساخطا بجملة مازلت أذكرها بالرغم من مرور أكثر من أربعين عاما على مشاهدتى للفيلم، قال له: عجل براسين؟.. حضرتك انت اللى عجل برأس بنى آدم،.. أو لعلة

قال له: انت اللى عجلين برأس واحدة.

عموما يستطيع التليفزيون أن يعرض هذا الفيلم هذه الأيام لنتأكد من صحة جملة الحوار، ولكن لماذا لم يسعد صاحب جريدة البركان بهذا الخبر المثير نفس سعادتنا به هذه الأيام لماذا قرر فصل المحرر؟ هذا ما لم يذكره الفيلم، على كل حال ليس هذا موضوعي، موضوعي هو التنبيه لمشروع إنتاج العجول متعددة الرؤوس بواسطة علم الهندسة الوراثية، هناك طبقات شعبية كثيرة لاتمكنها ظروفها من تناول قطع اللحم الممتازة ولعل ذلك هو ما دفعها لأن تعشق لحمة الرأس والفتة والشوربة المصنوعتين منها، وبظهور العجول متعددة الرؤوس تنخفض أسعار لحم الرأس بشكل ملحوظ وتتاح لتلك الطبقات التمتع بوجبتها الشعبية الشهية من مخ ولسان وجبهة وأجزاء أخرى لا أعرف اسماءها بقروش معدودات.

بعد ذلك نستطيع أن نستفيد من نفس الأبحاث بتطبيقها على البشر، فنحصل فى النهاية على الإنسان ذى الرأسين ثم الإنسان متعدد الرؤوس. سيكون ذلك مفيداً جداً بالنسبة لهؤلاء الذين يحتلون مناصب متعددة، بحيث يخصص رأسا لكل منصب، أو منصبا لكل رأس. سيتمكن المسئول من أن يعقد عدة اجتماعات فى وقت واحد يناقش فيها موضوعات مختلفة ومتباعدة، سيكون من السهل دمج بعض الوزارات تحت قيادة شخص واحد له عدة

رؤوس كما سيتمكن الطالب من الالتحاق بكليات الطب والحقوق والفنون الجميلة فى وقت واحد.

هناك متغيرات كثيرة ستحدث فى الأسواق، ستحدث ثورة فى عالم القمصان، ستظهر قمصان لها ياقات كثيرة، وبالطبع سنستهلك من ربطات العنق أكثر مما نستهلك الآن، وبالقطع ستزدهر أحوال الحلاقين. عموما هذه المسألة يجب أن تكون أختيارية تماما فلا نرغم مواطنا على أن يكون له أكثر من رأس إلا فى حالة الضرورة القصوى وفى الحالات التى تحتمها المصلحة العامة.

أنا شخصيا لا أريد أن يكون لى رأس آخر، تكفينى المتاعب التى أعانيها من وجود رأس واحد.

الخصخصة والقطعمة

★ الخصخصة

الخصخصة هى الكلمة التى نحتها المسئولون فى الأمم المتحدة لكلمة Privatization وهى أيضا كلمة جديدة فى اللغة الانجليزية ليست موجودة فى القواميس ولكنها مشتقة من كلمة Private بمعنى خاص أو خصوصى وذلك لوصف عملية تحويل القطاع العام إلى قطاع خاص.

غير أن بعض علماء الاقتصاد والسياسة اعترضوا على استخدام كلمة خصخصة وأصروا على استخدام كلمة أخرى هى "استخصاص" باعتبار أنها هى الأقرب للمعنى المقصود. قد لا نتصور أنه لا فرق بين الكلمتين مادام الهدف واحداً وهو تحويل القطاع العام إلى قطاع خاص، وأنه ليست هناك مشكلة فى أن يكون الإنسان متخصخصا بشكل خاص فى عملية الخصخصة أو مستخصصا على وجه الخصوص فى عملية الاستخصاص. ولكن الواقع العلمى عند التطبيق يثبت أن الفرق بينهما كبير، وما لم نحدد بشكل قاطع أى الكلمتين سنختار فسوف تتعطل عملية

الخصخصة أو حتى الاستخصاص لمدة طويلة. فمن الصعب على أى مسئول أن يعمل بجرأة فى تحويل القطاع العام إلى قطاع خاص قبل أن يتضح فى ذهنه تماماً المسمى الوظيفى الحقيقى لمهمته، هل هو أختصاصى أم متخصص أم متخصخص أم هو مستخصص؟!

لقد كانت عملية تحويل القطاع الخاص إلى قطاع عام منذ ثلاثين عاماً سهلة للغاية وذلك لوضوح القاعدة التى عمل بموجبها المسئولون، كانت القاعدة هى ببساطة تعالوا نأخذ ما فى جيوب هؤلاء البشر وما يمتلكونه.

لم تكن العملية فى حاجة إلى إخصائيين أو متخصصين أو متخصخصين أو استخصاصيين. كانت فى حاجة فقط إلى سيارة بوكس وضابط وعدة جنود شرطة ينقضون على المنشأة ويخرجون صاحبها ويجلسون هم..

أما الآن فعملية الخصخصة معقدة للغاية، أسئلة كثيرة تدورفى عقل المتخصخص: إلى أين أذهب أنا؟.. كيف أشعر بالجاه والسلطان.. كيف ألقط رزقى.. من أين آتى بالردة والعلف أعلف بها نفسى؟ هل أبيع المبانى بالأرض أم بدونها؟.. هل أبيع لهم الماكينات فقط بدون الأرض وبدون المبانى..؟ هل أبيعها لهم بالهواء أم من غير هواء أم أبيع لهم الهواء فقط بدون الأرض

وبدون الماكينات.. أنا شخصياً تربيت على الأونطة.. ولابد أن أبيع لهم الأونطة؟

ولكن أحداً لا يريد شراء الأونطة.. هنا تتضح لنا الصورة بجلاء، هذا المسئول غير قادر على ممارسة الخصخصة فقد استولت عليه لسنوات طويلة فكرة القطعمة.

★ القطعمة

والقطعمة ياعزيزى القارئ هى كلمة من اختراعى أنا، ومن المؤكد أن هذه هى المرة الأولى فى التاريخ التى تصفّها حروف الطباعة، وهى الكلمة الصحيحة لوصف المسئول الذى يتمسك بالقطاع العام. فتقول تقطعم الرجل أى تسللت فكرة القطاع العام إلى عقله وسرت فى عروقه واختلطت بوجدانه ونخاعه إلى الدرجة التى تجعل من المستحيل عليه أن يتخصخص أو يتمخصص. ولذلك يقول الفلاسفة، المتقطعم عدو للمتمخصص ولا يمكن الجمع بينهما مثل الماء والنار أو مثل جيبى والفلوس. وحتى فى المشاريع المشتركة التى تجمع بين فكرة التقطعم والتمخصص تنتهى عادة بأن يسرق المتمخصص المتقطعم.

إننى أفخر بتقديم كلمة جديدة عبقرية إلى اللغة العربية كانت فى أمس الحاجة إليها. استمع جيداً إليها تجد فى صوتها

وحروفها كل معانى التقطيع والانتهاك والإطعام. إننا نقول هذا الرجل "تقطعت به السبل" بمعنى أنه ضاع، وبالقياس نستطيع أن نقول أيضا، هذا الشعب "تقطعمت به السبل" أى غرق فى القطاع العام ولا نجاة له منه.

ومن الممكن أن نستخدمها فى حوار المسلسلات فيقول البطل للمسئول: لا تقطعمنى يا سيدى.. فأنا إنسان.. بمعنى، لا تلتهمنى ياسيدى فأنا لست قطاعاً عاماً. واستخدامها فى الأغانى سوف يعطيها قوة ووضوحاً.. وإليك بعض النماذج..

بتقطعمونى ليه..؟ لو شفتم عنيه، متخصخصين قد إيه.. قطعموه.. قطعموه.. القلب الخالى قطعموه.. قطعمت عينى.. على رؤياك.

قطعمتك .. يمكن أنسى هواك.

وعلى العموم لترك ذلك للزمن فهو كفيل بتحديد المجالات التى نستخدم فيها هذه الكلمة ومشتقاتها بشكل مفيد ومؤثر.

ياحضرات المستشارين

أترافع اليوم عن موكلى وموكلتى بقلب ملؤه الثقة فى عدالتكم، وأنا لست أطلب لهما البراءة فقط من التهم المسنودة إليهما، بل إننى أطلب لهما وساما، بل أرفع الأوسمة، أطلب لموكلى بالذات جائزة نوبل فى الاتصالات فقد أنجز فى مجال الاتصالات ما لم يفعله ولن يفعله بشر من قبل ومن بعد. ما هى التهمة الموجهة لموكلى؟ أنهم وجدوا لديه فى السجن جهاز تليفون لاسلكى؟ وقبل أن أمضى فى مرافعتى، لابد أن أوضح بكل قوة إننى راجعت كل مواد قانون العقوبات التى تبلغ مئات الآلاف، راجعتها كلها مادة مادة، بحثا عن مادة تجرم الاحتفاظ بتليفون لاسلكى أو حتى سلكى فى السجن، فلم أجد.

لم يعثروا على مسدس أو مدفع رشاش لكى يمكن اتهامه بأنه كان ينوى تهديد الحراس للهرب من السجن، لم يعثروا معه على منشار من الصلب لكى يمكن اتهامه بأنه كان ينوى الهرب بنشر قضبان السجن الحديدية. ولماذا يهرب موكلى أصلا من سجن هو يشعر فيه بالراحة والحرية وينعم بكل حقوق الإنسان الحر

الطليق؟

لا يوجد قانون يجرم الاحتفاظ بتليفون لاسلكى فى السجن، كما لا يوجد قانون يجرم الاحتفاظ فى السجن بطائرة أو لنش. إن المشرع كان يقصد بعقوبة السجن تقييد حرية السجين، فهل كان يقصد حرية كلامه مع الآخرين؟ لأ طبعا، بدليل أن المسجون مسموح له بالحديث مع زملائه وأسرته أثناء الزيارة ومع كل من يريد أن يتكلم معه، فلماذا لايكون مسموحاً له بالحديث مع أصدقائه داخل مصر وخارجها لكى يطمئنهم على صحته؟ علما بأنه يدفع ثمن هذه المكالمات بالإضافة للضرائب المفروضة عليها.

هل حكم عليه بعقوبة الصمت؟ لم أجد ما يشير إلى ذلك فى ملف القضية فضلا عن أن قانون العقوبات لم يذكر هذه العقوبة أصلا. من الواضح أن الرجل كان يدير أعماله من داخل السجن من أجل إعادة أموال المودعين، لم يمنعه السجن من جذب أموال جديدة والعمل ليل نهار فى المضاربات لكى يتمكن من إعادة أموال المودعين، فهل نحاكمه ونشهر به أم نمنحه وساما؟

كلنا نعرف أن جهاز التليفون اللاسلكى الذى استطاع أن يسربه إلى السجن كان تحت السيطرة، كانت عيون رجال الأمن الساهرة بالطبع تتابع كل ما يقوله وكل ما يسمعه عبر المكالمات فى الداخل والخارج. السؤال هو.. هل كانت هناك مكالمات تشكل

جريمة؟ هل تكلم مثلا مع أعداء مصر؟.. هل تخابر مع جهات أجنبية معادية؟ هل أفشى أسراراً تضر بمصالح الجهات العليا؟ لم يحدث شئ من ذلك كله.

إن البلاد المتحضرة تفخر بما يتمتع به نزلاء سجونها من حقوق، هم يقرأون الجرائد، يسمعون الراديو، يشاهدون برامج التليفزيون، كما يحصلون على أجازات يزورون فيها أسرهم بلا حراسة، بل إن بعض البلاد الأوربية تعطيهم الحق فى التصويت فى الانتخابات، لذلك أنا أرى أن نستغل هذه الواقعة لصالحنا فى مجال حقوق الإنسان، يجب أن نفخر بحكاية التليفون اللاسلكى هذه، يجب أن نقوم بحملة دعاية قوية، أن ندعو وكالات الأنباء العالمية لزيارة موكلى فى سجنه لينقلوا للعالم صورة واضحة عن مدى مايتمع به المسجون فى بلادنا من حقوق ليست موجودة فى بلادهم. أنا أتحدى كل البلاد الأوربية التى تتشدق بحقوق الإنسان أن يكون المسجون فيها يتمتع بجهاز لاسلكى أو حتى جهاز توكى ووكى قصير المدى.

نأتى الآن لموكلتى التى وجهت إليها هى الأخرى أغرب تهمة فى التاريخ، أن لديها جهاز تليفون دولى ليس له ملف أو وثائق فى هيئة التليفونات السلكية واللاسلكية، وأنه ليس فى سجلات الهيئة ما يشير إلى وجود هذا التليفون، وأن هذا التليفون يعمل بعيداً عن أى جهاز فى الدولة؟!

يا سبحان الله..؟!!

لابد أن موكلتى هى أرسين لوبين وجيمس بوند وشرلوك هولمز بعثوا جميعا أحياء فى شخصها.

لابد أنها أيضا تمتلك طاقية الإخفاء الأسطورية وبذلك تمكنت من إختراق كل أجهزة ومكاتب وإدارات وأقسام هيئة التليفونات دون أن يراها أحد لكى تمد منها خطاً دوليا بعيداً عن أعين كل المسئولين. لابد أن تكون موكلتى أيضا عبقرية فى علوم الأليكترونات لكى تنجز ذلك بحيث لا يكتشفه أحد.

رجال الشرطة والنيابة يقولون أن هناك مسئولين فاسدين تواطئوا معها، ونحن نقول بكل وضوح وقوة: نحن نرفض هذا الكلام المهين، نحن نرفض ولانصدق أن يقال لنا أن هناك مسئولين فاسدين فى أعلى درجات المسئولية فى موسسة هى بطبيعتها خطرة بل غاية فى الخطورة على الأمن القومى للبلاد، لو كانوا فاسدين، لما سمحت لهم الحكومة بالبقاء فى مناصبهم لحظة واحدة.. ولذلك نحن نؤكد أنهم أشراف، إذن ماذا حدث، كيف وصل إليها هذا التليفون؟

إليكم الإجابة باختصار، قدمت موكلتى طلبا ودفعت الرسوم، وقامت بكل الإجراءات القانونية المطلوبة، ووقعت العقد مع الهيئة وتم تركيب التليفون بشكل قانونى تماماً، ولكن أحد المودعين

الأوغاد الأشرار الذى امتلأ قلبه حقداً ومرارة، تمكن من الوصول بطريقة ما إلى كل الدفاتر فحذف منها رقم تليفون موكلتى، ثم أخفي الملف، ثم لعب فى الكمبيوتر، ثم لعب فى كل أجهزة الهيئة، فبان الأمر فى النهاية وكأن موكلتى سرقت خطاً دوليا بمساعدة بعض الفاسدين من كبار المسئولين، كان يجب أن يكون السؤال هو.. أين الملف؟.. أين الدفاتر؟.. من شطب رقم التليفون من الدفاتر؟ من لعب فى الكمبيوتر.. قد تقولون، ولكنها لم تسدد الاشتراكات، لا ياحضرات المستشارين، كانت تسددها، خطأها الوحيد أنها لم تكن تسددها بنفسها، فقد وثقت ببعض الناس فى مصلحة التليفونات وكانت تعطيهم المبالغ المطلوبة وكانت تنسى أن تطالبهم بالإيصالات، وذات مرة سألتهم: أين الإيصالات فاتضح أنها قد نشلت منهم وهم فى الأتوبيس، ولذلك أنا أهيب بكل النشالين الذين نشلوا هذه الإيصالات أن يسلموها لجهة التحقيق لإنقاذ هؤلاء الأبرياء.

بقيت فى مرافعتى كلمة ياحضرات المستشارين، أنا جاد فيها تماما.

الدولة ترسل فى طلب الخبراء العالميين وتدفع لهم الملايين ليدلوها على مواطن الضعف والخلل فى أعمالها، وترسل أبناءها ليتعلموا فى الخارج وتدفع لهم دم قلبها لكى يعودوا وقد اكتسبوا العلم والقدرة على كشف الأخطاء.

إدرسوا جيداً أفعال موكلى.

لقد أستطاع أن يجمع من البشر كمية من المال غير مسبوقة فى التاريخ واستطاع النفاذ من غابة القوانين واللوائح التى يعجز الهواء نفسه عن المرور من خلالها، كاشفاً لنا عن نواحى الضعف والفساد والبلاهة والحماقة فى حياتنا، ألا يستحق تمثالا؟ ألا يستحق كلمة شكر؟ ألا يستحق البراءة؟ ألا يستحق أن يحتفظ بجهاز تليفون لاسلكى فى السجن؟ ألا تستحق موكلتى الاحتفاظ بتليفون هدية من هيئة التليفونات؟

ألا نستحق جميعا ما يحدث لنا؟

دردشة مقاهي

تحتل المقهى فى حياة المصريين مكاناً هاماً، فهى المكان الوحيد الذى يهرب إليه المصريون من ضغوط الحياة ومن متاعب الزوجة والأولاد، كان هذا فى الماضى، أما فى العصر الحديث فالمصريون يهربون إليها للتخلص من ضغوط الحكومة، فيعيشون لحظات خالية من التوتر بين الشاى والقهوة والسحلب ودخان المعسل ويتسلون بالحديث عن متاعب الحياة ويتعرفون على آخر نكتة أصدرها الشعب المصرى.

وللمقهى دور تاريخى قيادى فى تاريخ الحركة الوطنية، إذ يقال إن الشيخ جمال الدين الأفغانى كان يجلس على مقهى "متاتيا" موزعاً "السعوط بيد وموزعاً الأفكار العصرية باليد الأخرى. والسعوط إذا لم تكن تعلم هو النشوق.

ولكن المقهى ليس مكاناً للتسلية فقط وإزجاء أوقات الفراغ والدردشة الفارغة، بل كانت ومازالت تلعب دوراً هاماً فى حياة أصحاب الحرف، حيث يتجمع أصحاب كل حرفة فى مقهى معين فيسهل بذلك على من يريدهم الالتقاء بهم والإتفاق معهم على

العمل المطلوب. وهى أيضا مصادر هامة وصادقة لمعرفة اتجاهات الرأى العام، لذلك نجد أجهزة الأمن السياسى - المحلية والعالمية - تهتم اهتماماً خاصاً بتلك الدردشة التى تدور بين البشر والتى يظن البعض أنها مجرد كلام فارغ، لأنها فى الحقيقة أكثر صدقاً من كل المقالات المنشورة ومن كل التصريحات السياسية والخطب الطويلة التى قد يحرص أصحابها على تفادى ذكر الحقيقة بسبب المحاذير السياسية.

دردشة المقاهى فى مصر تعكس بصدق كل اهتمامات وآلام الشعب المصرى وترسم صورة واضحة لمتاعبه، وترسم الطريق الحقيقى لمستقبله. ونحن المثقفين المصريين المضروبين نعمل نهاراً ثم نلتقى ليلاً فى المقهى لنمارس هذا الفن الجميل الممتع، فن دردشة المقاهى. نهاراً، نحن نقرأ ونكتب ونقف خلف الكاميرا مسلحين باليقظة والحذر والرغبة فى الإتقان والإبداع، وليلاً فى المقهى نتخفف من اليقظة والحذر فتنطلق أفكارنا منسابة فى حرية وعذوبة، مستمتعين بكل الآراء الحرة، الذكية منها والغبية، العميقة والسطحية بلا رقيب من أى نوع، وخاصة فى ندوة، نجيب محفوظ شيخ أدباء هذا العصر - وللعلم هى أيضا تعقد فى مقهى - حيث تتحول الجلسة إلى "هايد بارك" حقيقية، لعلها الوحيدة فى الشرق الأوسط التى يعبر فيها كل إنسان عما يفكر فيه بحرية لاسقف لها.

ولكن أهم عنصر ممتع فى حياة المقهى هو الضحك، نعم نحن نستمتع على المقهى بكمية من الضحك لايستمتع بها الآخرون ممن حرمتهم مناصبهم من الاستمتاع بالمقهى، أقول نضحك ولا أقول نسخر، فالضحك بناء والسخرية هادمة، نضحك ضحكاً صحياً ذكياً جميلاً من أخطاء الآخرين وحماقاتهم، ابتداء من الرئيس بوش إلى الرئيس صدام.

سؤال: تقول إن أصحاب كل مهنة لهم مقهى خاص بهم، فهل المسئولون السياسيون لهم مقهى معين يجلسون فيه ويستمتعون بالدردشة؟

الإجابة: لا.. هذه هى المهنة الوحيدة التى تحرمك من الاستمتاع بدردشة المقهى، هذه المهنة تحتم عليك الحذر واليقظة ليلاً ونهاراً، فقد تفلت منك كلمة واحدة، تسبب لك متاعب أنت فى غنى عنها، الرسميون يتكلمون مع بعضهم البعض من خلال قاموس كلماته محدودة للغاية وغير مسموح لأى مخلوق منهم أن يبدى غضبه من شئ أو يعترض على أمر بشكل يغضب الآخر، كما أنه من غير المسموح له أن يضحك بعمق على أخطاء الآخرين، لأنه جزء منهم ومشارك فى أخطائهم.. لذلك تكون جلسات المسئولين مع بعضهم البعض ثقيلة الدم إلى درجة لا يمكن تصورها.. ولعل ذلك هو السبب فى الحسد والحقد اللذين يشعران بهما تجاه الصعاليك أمثالنا من رواد المقاهى الذين

يستمتعون بحرية الدردشة، الأخطر من ذلك كله أنهم محرومون من أوقات الفراغ، وهذه مسألة خطيرة، إذ لا يمكن الحصول على ذهن صاف قادر على التفكير الحر بغير أوقات فراغ. بل أن الحرية نفسها كما يقول بعض مفكرى الغرب، يستدل عليها فقط بمساحة أوقات الفراغ عند الفرد والجماعة.

– ولكن من قال أنهم لا يتمتعون بأوقات فراغ.. لقد سمعنا أن بعضهم يلعب الطاولة؟

– صح.. هذه هى اللعبة الوحيدة المسموح لهم بلعبها، حيث إنها اللعبة الوحيدة التى لا تتطلب إبداعاً أو إجهاداً للذهن، وهذا ليس عيباً، عيبها الوحيد أنها تخلق داخل الإنسان إحساساً قوياً بالإستسلام للقدر وتقضى بداخله على الرغبة فى التحدى، وتفقده الشعور بالمسئولية، فأنت لاتستطيع التحكم فى الزهر، هزيمتك أو انتصارك لايتوقفان على مجهودك بل على الحظ، على الزهر، فعندما تقع فى مأزق أثناء اللعب تتوسل: يارب أجيب جهار يك.. أو يارب أجيب دَبَش، ولكن فى كل الأحوال يظل مصيرك بيد الزهر وليس بيدك أنت.

– ولكن هناك حريفة للطاولة يستطيعون "القرص" عند ذلك يستجيب الزهر لرغباتهم ويعطيهم الأرقام التى يريدونها.

– لا تصدق ذلك، وحتى إذا كان صحيحاً فهو أمر بعيد تماماً

عن النزاهة المطلوبة لممارسة أى لعبة، والنجاح فى القرص على الزهر بفرض صحته، أمر خطير للغاية فقد يدفعك ذلك لاعتماده وسيلة فى الحياة فتقرص كل من يعترض طريقك، وهنا تفقد طبيعتك الإنسانية وتتحول إلى دبور، كما أن قاموس الكلمات المستخدم أثناء لعب الطاولة، عدوانى تماماً، لايوجد فيه إلا كل ما هو سخرية من خصمك: اتفضل حل ياسيدى.. ابقوا اتعلموها قبل ماتلاعبونا.. حد كمان عاوز يتغلب؟ هات له الطاولة أم سور ياسيدى، الظاهر انت عاوز تتمسك فى الخشب.. هاها.. أنت متصور إنى بالعب معاك؟! ده أنا باعلّمك.. كان لازم قبل ما تلاعبنى تلتحق بمركز تدريب.. أو تاخذ بعثة.. هاها.. خلاص ياسيدى خدنا منك العشرتين.. عاوز تلعب تانى؟.. قصدى عاوز تتغلب تانى.. هاها..

السباع الضاحكة

عند حديثه عن "ڤولتير" فى كتابه "مختصر قصة الفلسفة" يستشهد "ول ديورانت" المؤرخ الأمريكى المعروف بمقولة "لنيتشه" فيلسوف القوة يقول فيها: "على السباع الضاحكة أن تأتى".. فما هى الصلة بين الضحك وفلسفة القوة؟ وماذا يقصد ديورانت من وصف ڤولتير بأنه سبع ضاحك؟ الإجابة عن هذا السؤال لابد أن تسبقها الأجابة عن سؤالين سابقين من هو السبع، وما هو الضحك؟

السبع هو ملك حيوانات الغابة، قوى، نبيل، جميل، هادئ، متعفف، لا يأكل من الفريسة إلا أجزاءها الممتازة، تاركا الأجزاء الأقل أهمية للآخرين، ولا يهاجم إلا لسبب غريزى منطقى وطبيعى وشرعى، هو أنه جائع، وهو بلفتاته الجميلة الهادئة وحركاته الواثقة يثبت بوضوح أنه على وعى بأنه سبع يحتل أعلى رتبة فى الغابة، ماهو الضحك إذن؟

قبل أن تضحك ساخرا منى لطرح هذا السؤال الذى تظن أن الإجابة عنه فى متناول كل يد، دعنى أذكر لك تعريفا للفيلسوف

"فيشر" عرضه عالم النفس الشهير سيجموند فرويد فى كتابه "النكتة وعلاقتها باللاوعى" وهو كتاب مهم وسيئ الحظ، فالمشتغلون بالفكاهة لا يقرأون عن التحليل النفسى والمشتغلون بالتحليل النفسى لا يقرأون عن الفكاهة فكانت النتيجة أن هذا الكتاب خرج من دائرة اهتمام القراء إلى دائرة النسيان، يقول فيشر: "تهتم الفكاهة بإظهار القبح الكامن فى حياتنا، فعندما يكون القبح مختبئا، لابد أن نستخرجه ونتقدم به لنضعه تحت أنظار الجميع فى وضح النهار، هذا هو ما يفعله الكاريكاتير، أن مملكة الأفكار والنظريات والمعتقدات التى تحيط بنا لا تكشف عن نفسها بوضوح للمراقبين الذين يحدقون فيها من الخارج، كما لا يمكن تصورها بشكل ملموس مجسد، ومع ذلك فهى تحوى بداخلها عناصر عجزها وضعفها وتشوهاتها، تلك العناصر تشكل ثروة من السخافات والتناقضات التى تدفع إلى الضحك، ولكى نستخرج هذه العناصر ونضعها قريبة من الأذهان والأبصار على ضوء الاعتبارات الأخلاقية، لابد من قوة ضاربة ليست فقط قادرة على التخيل الموضوعى بشكل مباشر، ولكنها قادرة أيضا على أن تعكس نفسها على هذه العناصر لتوضيحها، قوة ضاربة تثير الأفكار، إنها قوة إصدار الحكم، الضحك هو إصدار للحكم فى قضية، فى موضوع، وهو حكم يخلق الفكاهة الناتجة عن اكتشاف التناقض فى الموضوع".

إلى هنا انتهى كلام الفيلسوف "فيشر" كما جاء فى كتاب فرويد، وكل ما أريدك أن تتذكره من كلامه هو أن الفكاهة حكم يصدره قاضى الموضوع، وليس المحامى ولا وكيل النيابة، ولا الحاجب ولا أحد الشهود ولا أحد المتقاضين، القاضى فقط مسلح بمعرفته بكل القوانين وبدراسته لوقائع القضية وحبه للعدل، لا سلطة على الأرض تعلو على سلطة القاضى، هذا هو السبع الضاحك، هذا هو أرستفانيس وڤولتير، وموليير، ومارك توين وشارلى شابلن.

هناك سؤال يثور هذه الأيام فى الأوساط الأدبية والفنية، أين الأدب الفكاهى؟ أين الأدب الساخر، نريد الأدب الفكاهى؟ نريد أعمالا فنية وأدبية ضاحكة لإزالة هذا الاكتئاب الذى يخيم على المنطقة العربية، عند ذلك تُرصد المبالغ والموازنات لإنتاج هذه الأعمال الضاحكة وفى النهاية لا نحصل إلا على كل ما هو سخيف ومبتذل، رئيس تحرير مجلة ضاحكة طلب منى أن أكتب مقالا فكاهيا بشرط الابتعاد عن كذا وكيت، كما أنه لا داعى للإقتراب من الموضوع الفلانى والعلانى، كما يجب أن أتوخى الحذر عند الاقتراب من كذا وكذا.

عند ذلك تذكرت ذلك الرجل القديم الذى وضعوا أمامه كمية كبيرة من الخبز السليم والمكسر ثم أصدروا له التعليمات، لا تأكل المكسر ولا تكسر السليم ثم كل بعد ذلك كما يحلو لك، الفكاهة

هى فن إصدار الحكم العادل فى قضية بشكل ضاحك، كيف نصدر أحكامنا متجاهلين نصوص القانون أو خائفين من المتهمين لأنهم أقوياء؟ لذلك كان لابد أن تختفى السباع الضاحكة وأن تظهر بدلا منها الثعالب والذئاب والأرانب الضاحكة، جلس المتهمون على منصة القضاء ووقف القضاة فى قفص الاتهام، الذئاب تأكل الأجزاء الممتازة من الفريسة والسباع ترغم على الوقوف فى الطابور، صامتة جائعة منتظرة أن يؤذن لها بالتقدم للحصول على الفتات بعد أن تسمح لها الأرانب بذلك.

الأدب الساخر من السلع التى يمكن غشها وتزييفها بسهولة كسائر الأشياء الثمينة، فالضحك للأسف له مصدران أساسيان، الذكاء الحاد والبلاهة المفرطة، الأول يتربى فى حجر الشجاعة ويرضع من النبل وحب العدل، والثانى يتغذى بالعدوان، والفرق بينهما هو نفس الفرق بين الشحم والورم، الضحك النبيل يقاتل ويحارب القبح بينما الضحك الابله يعتدى على القيم النبيلة، الأول فارس محارب والثانى بلطجى معتد، الأول سبع ضاحك، والثانى ذئب وضع على رأسه لبدة وكشر عن أنيابه وأصدر أصواتا يظنها البسطاء ضحكا وما هى بضحك، الأدب الفكاهى الحقيقى يحب الحياة ويمجد قيمها العادلة ويدفعك بوضوح ولطف للتعرف على طريقك بينما الثانى يستثير عدوانك على الآخرين وعلى ذاتك.

الأدب الفكاهى الحقيقى هو الحب كل الحب، والضحك الأبله

هو الكراهية، هل عرفت الآن معنى الضحك الذى أقصده؟ هل عرفت ماذا كان يقصد "نتشه" بقوله: "على السباع الضاحكة أن تأتى؟"

نعم، نحن نريد كتيبة من السباع الضاحكة، قوية، نبيلة جميلة. تدلنا بشكل ساخر على مواطن القبح والضعف فى حياتنا، نريد سباعا ضاحكة ممتلئة بالخير والإنسانية، تقدم لنا أعمالا فنية وأدبية تجعلنا نضحك من أعمق أعماقنا، عند ذلك نكتسب القدرة على تغيير حاضرنا البشع السخيف.

قد تسألنى، ماذا عنك، ألست سبعا ضاحكا؟

وأرد بصراحة، كنت ياسيدى.. لقد تغير العالم من حولى، أتعرف بصعوبة الآن على ملامح غابتى، كل الظواهر حولى أصبحت تثير فزعى، لم أعد منشغلا بقضايا السباع الكبرى، ضاقت دائرة اهتماماتى حتى أصبحت محصورة فى غلاء الأسعار وصعوبة العيش، أصبحت من فرط الأجهاد العصبى سهل الاقتناع بما يقال لى عبر حملات الإعلان والإعلام، أقنعونى بالذهاب إلى الكوافير لتقليم مخالبى وتحويلها إلى أظافر أنيقة فأصبحت عاجزاً حتى عن الخدش، أقنعونى أن اللحم المشوى أفضل من الناحية الصحية لأنيابى فأدمنته بعد أن اكتشفت أنه الذ وأسهل فى المضغ، بعد عدة أعوام ازدادت أنيابى ضعفا فلم

تعد قادرة إلا على أكل المسلوق، أما الكارثة الحقيقية فكانت عندما أقنعوني بتركيب قلب جديد بدلا من قلبي المجهد، وبعد العملية، وفي اللحظة التي أفقت فيها من البنج قالوا لي معتذرين: نأسف، لم نجد قلب سبع في المخازن يصلح لك، ركبنا لك قلب أرنب، ولكن اطمئن هو أرنب شجاع.

واتضح لي فيما بعد أنهم كانوا يكذبون.

أما حنجرتي فلست أعرف ماذا حدث لها كل ما أعرفه أنني استيقظت ذات صباح فوجدتني عاجزاً عن الزئير، وأن ما تصدره حنجرتي هو صوت أشبه بالصوصوة، وجاءت أطباء الغابة وشرحت لي الأمر، أنت تأكل وتشرب كثيراً من أقوال الزعماء والحكومات، إمتنع عن ذلك.

وامتنعت عن ذلك فبدأت أعود سبعاً ضاحكاً.

سعيد السعداوي

منذ أقل من ثلاثمائة عام، قبل الثورة الفرنسية بالتحديد، كانت فكرة أن البشر متساوون في الحقوق حلما غامضا وأملا مكانه خانة المستحيل. كان النبلاء والإقطاعيون يملكون حقوقا على فلاحيهم لا يمكن تصورها الآن. كلمة حقوق المواطنة والمواطن لم تكن تعرفها القواميس. ولكن التاريخ مضى في طريقه بثبات محققا أحلام البشر التي كانت أمالا مستحيلة أو مجرد تصورات مشوشة في أذهان نبيلة.

القرن القادم سيكون عصر حقوق الإنسان، في كل يوم سيكتسب الإنسان حقا جديداً لم يكن يحلم به من قبل، أتصور أن دساتير العالم في القرن القادم ستنص على حق الإنسان في السعادة، ستقول في مادة واضحة وقوية، من حق الإنسان أن يكون سعيداً.

في البداية سيسخر بعض المثقفين من هذه المادة، سيقولون، أطعموا الناس أولاً، أو اهتموا بصحتهم أولاً.. أو ينفجرون ضاحكين في استهزاء. ولكن التاريخ سيمضي في طريقه سائراً

على أقدام قوية من صنع النبلاء الحالمين.

نعم، السعادة حق من حقوق الإنسان، علينا أن نؤمن بذلك أولاً، أن نصدق ذلك، أن نتصوره فى أذهاننا، عند ذلك يتحول بقوة إرادة البشر إلى واقع. ستحدث ثورة فى عالم التشريع، أتصور أن الأعدام سيكون عقوبة من يلوث النيل والأشغال الشاقة المؤبدة عقوبة من يعكنن على البشر، ويعاقب بالحبس والغرامة كل من يمارس التلاحة والكلاحة، ستقرأ فى الصحافة أن المحكمة الفلانية قضت بسجن المواطن فلان لأنه تسبب فى عكننة مواطن آخر، أو أن موظفاً كبيراً عوقب بالحبس لمدة أسبوعين لأنه لم يبتسم فى رقة وهو يقابل أحد المواطنين، أما الكذب فستكون عقوبته الفصل عن العمل وتشدد العقوبة فى حالة أن يكون الكاذب مسئولاً، ستكون عقوبته هى النفى من البلاد. أما عقوبة الإهانة المتعمدة أو الشتيمة - فيما عدا تلك التى تحدث فى مجلس الشعب - فسيدفع مرتكبها غرامة لا تقل عن مرتب شهرين أو مائة مليون جنيه أيهما أقل، هذا المبلغ سيكون فى متناول الجميع ففى الغالب سيعين خريج الجامعة بمرتب ثلاثين مليونا من الجنيهات فى الشهر.

سيصبح من حق المواطن أن يرفع سماعة التليفون ويطلب شرطة النجدة.

- ألو... أنا المواطن سعيد السعداوى.. أعمل موسيقياً.. وأسكن حى المهندسين.. ولدى بلاغ.

- إتفضل..

- أنا لست سعيدا..

- ياساتر.. كيف حدث ذلك؟.. منذ متى؟.

- منذ عدة أعوام؟

- منذ عدة اعوام؟! لماذا لم تبلغنا من قبل؟.. كيف انتظرت كل هذا الوقت؟!

- اعتقدت أنها فترة إكتئاب عابرة لن تلبث أن تزول.. تصورت أننى ساقاومها بقدراتى الخاصة..

- حسناً يا أستاذ سعيد، لا تغادر مكانك ستصلك سيارة النجدة فوراً.

هناك إدارة خاصة فى شرطة النجدة تسمى إدارة إصلاح ما أفسده الدهر، وهى الإدارة المسئولة عن التعامل مع هذا النوع من البلاغات، السيارة تضم مجموعة أفراد هم: طبيب، محلل نفسى، باحثة اجتماعية، عالم فى الفراسة يستطيع التعرف على أسباب تعاسة البشر فى لحظات،و مندوب من وزارة المالية له حق التوقيع على شيك بحد أقصى ربع مليون جنيه، مفوض من

الحكومة بدرجة نائب رئيس وزراء من حقه اصدار قرار إدارى تلتزم بتنفيذه كل الجهات فى الحكومة المصرية.

وصلت لجنة النجدة إلى منزل الاستاذ سعيد السعداوى بعد عشر دقائق بالضبط. رحب بهم وقادهم إلى غرفة الصالون، أخرج مندوب المالية دفتر شيكات وسأله فى ود: هل أنت فى حاجة لفلوس؟

- لا... شكراً.

سأله الطبيب: هل تشكو من شئ؟ أى شئ؟

- لا.. الحمد الله، أنا صاغ سليم.

سأله الطبيب النفسى: تقول فى بلاغك إنك لست سعيداً.. حدد لنا درجة عدم السعادة.. هل هى حالة ضيق؟... أم تعاسة؟.. أم حزن..؟ أم قرف..؟ أم اشمئزاز؟

- هى حالة ضيق شديد مصحوبة باكتئاب تجعلنى اتصور أننى تعس.

- ما أخبار زوجتك؟.. أقصد علاقتكما.؟

- سمن على عسل، أحبها وتحبنى، ولقد حاولت المسكينة المستحيل لاخراجى من حالتى ولكنها فشلت.

- صارحنا لكى نتمكن من إسعادك... هل لديك علاقات

نسائية..

- لا.. وهذا ما يزيد من تعاستى.

- لديك أطفال؟

- نعم، وهم زى الفل، ومتفوقون فى دراستهم.

- هل منعتك هذه الحالة من التلحين؟

- لأ.. انتهيت من كتابة ألحان كثيرة.. يغنيها الناس فى الشوارع والأفراح وهى منتشرة فى التاكسيات والميكروباسات ومحلات عصير القصب.

- جميل.. أنت ناجح إذن.

- لأ.. أنا فاشل.. هى الحان سيئة للغاية ومنحطة..

- من قال أنها منحطة؟

- أنا الذى أقول، فلدى فكرة جيدة عن الموسيقى الحقيقية.

- لماذا لا تقدم لحنا راقيا.

- لا أدرى.. أرغب فى ذلك.. غير أننى عاجز عن فعله، تنقصنى الفرحة اللازمة لذلك.. لابد أن يكون الفنان فرحا.. وأنا تقريبا تعس.

وهنا قال رئيس اللجنة: لا نستطيع أن نعدك بالقضاء على

تعاستك فى عدة ساعات، ولكننا سنفعل بإذن الله، سنكتب مذكرة بحالتك ونرفعها للجنة مكافحة التعاسة، سيستغرق الأمر عدة إيام، نحن نقترح عليك أن تسافر على حساب الحكومة إلى أى مكان فى العالم.. هل تحب جبال الألب؟

– أفضل الاسكندرية.. أنا أحب البحر.

– متى تريد أن تسافر؟

– الآن.

قام مفوض الحكومة واتصل بعدة جهات بـ رعة ثم قال: ستصلك الآن سيارة شبح بالسائق، ستظل معك فى الإسكندرية إلى أن يتم التوصل إلى قرار فى حالتك.. مكتبنا فى الاسكندرية سيتولى العناية بك.. كن صريحاً وواضحا فى كل طلباتك، لا تخجل من ابداء أى رغبة من أى نوع.. الأطعمة والمشروبات التى تحبها، الصحبة التى تفضلها، الملابس التى تريد ارتداءها، الأماكن التى تريد الذهاب إليها.. إذا فكرت فى الطيران إلى أى مكان فى العالم أبلغ المكتب فوراً.. وأرجوك، لا تنسى فى كل الأحوال أن وظيفتنا هى أن نجعلك سعيداً، شكراً.

***

فى نفس الليلة رفعت أربعة أجهزة سيادية تقريراً بالحالة لرئيس مجلس الوزراء الذى انزعج بشدة واصدر أمره بعقد

مجلس الوزراء فى نفس الليلة، فقد كان الأمر خطيرا لحد لا يحتمل التأجيل.

كان وزير الثقافة ينتفض طوال الاجتماع وأعلن فى بداية الاجتماع أنها المرة الإولى فى حياته التى يسمع فيها أن هناك فنانا تعسا واتهم مساعديه أنهم حجبوا عنه هذه المعلومة. وقال رئيس الوزراء: أيها السادة، أظنكم تعرفون النتائج الخطيرة المترتبة على تعاسة هذا الموسيقى، لن تكون هناك موسيقى جيدة أو جميلة تسعى بالخير بين الناس فى الشارع، كما تعرفون بالطبع أن سقراط قال "ظهور أساليب غريبة فى الموسيقى يفسد البشر ويهدد بوصول السفلة إلى الحكم على المدى البعيد".. راجعوا باب سقراط فى مختصر قصة الفلسفة لـ... ول ديورانت"، وأظنكم تعرفون أيضاً أنه عندما تتغير القوانين الأساسية فى الدولة تتغير الأساليب الموسيقية.. راجعوا الجمهورية لأفلاطون.. فهل تغيرت القوانين الأساسية فى المجتمع بحيث أدت إلى ظهور أساليب موسيقية منحطة باعتراف ملحنيها.. إننى أطلب منكم فوراً معرفة الأسباب الحقيقية لتعاسة الفنان صاحب هذه الحالة، والبحث عن حالات التعاسة الأخرى وحصرها، وحصارها والعمل على إزالة أسبابها فوراً.. لن يحدث فى هذا البلد إصلاح سياسى أو إدارى أو اقتصادى بلا فن جيد يبعث الفرحة فى القلوب، هذا الفن بالقطع لن يصنعه التعساء..

فى هذا، أنا على استعداد للذهاب لآخر مدى، حتى لو اضطررت للقبض على أي فنان أو مثقف تعس وإسعاده بالقوة.

استمرت جلسة مجلس الوزراء منعقدة حتى ساعة متأخرة من الليل، خلال الجلسة استأذن وزير الثقافة لدقائق تحدث فيها هاتفيا مع مكتبه - قسم القضاء على الأحزان - وطلب منهم إرسال باقة ورد مع عشاء فاخر من الاستاكوزا والجمبرى وإناث الكابوريا. اتضح أن سعيد السعداوى ليس من عشاق الاستاكوزا فاضطر موظفو مكتبه لأكلها، واتضح فيما بعد أنهم يُرغمون دائماً وخصوصاً فى الرحلات على أكل الاستاكوزا والجمبرى والكابوريا وبيض الإوز الكاريبى، ولقد تقدموا بشكاوى كثيرة يطلبون فيها إصلاح هذا الوضع إلا أن احدا لم يسأل فيهم.

فى تلك الليلة وفى الأوتيل الفخم، جلس سعيد السعداوى فى بلكونة غرفته يحدق فى أمواج البحر، شعر بالرقة تتسلل إلى قلبه، هبطت النجوم كالعصافير الصغيرة وأخذت تتراقص حوله، مد يده وأمسك بالقمر، أخرج منديله وأخذ يلمعه ويزيل ماعليه من غبار.. بدأت أنغام جميلة تتجمع بداخله.. هناك لحن جميل قادم.. قصيدة للشاعر أمل دنقل.. كلماتها تتحول لأنغام.. يالهى، كم هو جميل وعذب هذا اللحن. كل الناس ستغنيه.. نعم، كل الناس ستغنيه.

فجاة هاجمته فكرة تعسة.. تنفيذ هذا اللحن يتطلب الإتقان والجهد الشاق، من قادر الآن على الإتقان؟ من يفكر فى الإتقان؟ لابد من اسبوع كامل فى التدريبات.. من من العازفين سيقبل ذلك، من من المطربين سيقبل ذلك.

ثم، هل سيقبل الناس هذا اللحن حقاً؟ هل سيشعرون بجماله؟ كيف لهؤلاء الذين تعودوا على استنشاق رائحة المجارى أن يتنبهوا لرائحة الياسمين؟!

ما يشعرنى بالتعاسة هو انعدام الرغبة عند البشر فى الإتقان..

سحابه كثيفة من التراب وعوادم السيارات غطت النجوم، انفلت القمر من بين يديه وانسحب بعيداً يضىء الليل لشعوب أخرى أكثر إتقانا، تراجع الحن بداخل صاحبنا، اختفى، بدأ لحن آخر فى الظهور، لحن شكلته الأصوات المحيطة به، بدأ يتبين فى هذا اللحن أصوات طنين الناموس وأزيز حشرات أخرى، أما أقواها فكان أصوات صراصير الغيط السوداء المختفية فى الحديقة، تعزف بلا توقف صريراً بكل أصرار.. وكلاكسات مزعجة لموكب زفاف تحيطه الدراجات النارية وهى تصدر أصواتا مرعبة وكأنها هدير المدرعات.

وانشقت أمواج البحر وخرج مها حيوان هائل الحجم، تعرف

عليه علي الفور، كان الثعبان الأقرع..

وقف سـعـيـد السـعـداوى فى البلكونة صـائحـاً كـالمجنون:

روحونى.

في
العيادة
الشعبية
النفسية

في العيادة الشعبية النفسية

إن خانقت جـارك.. إبقيه

وإن غسلت توبك.. إنقيه

فى ثمانى كلمات فقط تم تلخيص منهاج كـامل للسلوك الإنسـانى الأمـثل فى التـعـامل بين الأفـراد والمجتمعات فى إطار مبدع من الموسيقى الداخلية والخارجية توفر للمثل الشعبى القدرة على الصمود عبر الزمن. والصرامة الموسيقية فى استخدام كلمتى "إبقيه.. إنقيه" جعلته أمراً صريحاً بحتمية الفعل لا يتحمل الجدل أو النقاش. وكأنه إشارة مرور أبدية وضعها الأجداد على طريق الحياة الشاق الطويل ترشدك إلى الصح وتحميك من الخطأ، تبعدك عن الكارثة وترسم لك طريق السلامة.

قد تمر بك الحياة بطولها وعرضها دون أن تتخانق مع جيرانك، ولكن لنفرض أنه قد حدثت بينك وبين جارك مشاكل أو متاعب وهذا أمر قد يحدث فى أى لحظة للأفراد والمجتمعات والحكومات، فما هو السلوك الواجب اتباعه فى هذه الحالة؟.. ما هى القاعدة؟

"إبقـيـه".. يعنى ابق عليـه، لا تدمـره تدمـيـراً، لا توجـه إليـه الطعنات القاتلة، كن مهذباً، كن عاقلاً، كن عفيفاً، أحصر خلافك معـه فى أضـيق الحـدود الممكنة، لأنه سيظل جـاراً لك للأبد، فـلا تزرع اليوم فى أرض العلاقة بينكما حشائش سامة تحصدها أو تحصدك فى الغد. تستطيع أن تفتح عليـه نار الكلمات صـارخاً أمـام نافـذته أو بيـتـه، أو من خلف الميكروفـون أو على شـاشـة التليفزيون أو فى أنهار الصحف والمجلات "ياوغد.. أنت من أسرة كلها أوغاد.. كل أفعالك تتسم بالشر، وأنت صاحب سلوك منحط، وأنا أفضل منك بكثير، وأكرم منك بمراحل.. وأنت لا تستحق ما عاملتك به من كرم.. و.. و.. والخ.."

المثل يحذرك بصرامة ووضـوح من هذا السلوك، فـهو يعرف يقـيناً أن هذا السلوك هو الأسـهل والأكـثـر إغـراءً والأقـرب فى التـعامل بين البشـر. لا شئ على الأرض أسهل من فتح محبس العـدوان داخل النفس البـشـرية عند ذلك تندفع شـلالات الوحل أنهـاراً. الأصعب من ذلك هـو ضبط النفس، بمعنى "الإبقـاء" على الجار. وبذلك تتخذ خناقتك معه المسار التالى "أنا مختلف معك ياسيدى، وهـذا لا يمنعنى من مناقشتك بالاحترام الواجب، فأنت جدير بالاحترام لأسباب كثيرة، ولكن يؤلمنى ويحز فى نفسى أن أقول لك إنك قد أخطأت فى حقى (أو فى حق مجتمعى أو شعبى أو حكومتى) وبالرغم من تقديرى للظروف التى دفعتك لذلك، إلا

أنى أرفض بقوة أن أكون ضحية اتهامك لى بأشياء لم أفعلها. أنت جار عزيز لى، وأرجو أن أكون أنا أيضاً جاراً عزيزاً لك، ما تقوله عنى مدهش وغريب ياسيدى، ولم أجد له تفسيراً بالرغم من محاولتى الجادة لفهمه. لذلك أنا أطلب منك أن تشرح لى لماذا أخطات فى حقى؟".

بهذه الطريقة وحدها تظل قنوات الحوار مفتوحة وسالكة بينك وبين جارك، ويتم حصر خلافكما فى قنوات يسيطر عليها العقل. وبذلك لا تتحول الخناقة إلى صراع دامٍ، وهذا أمر يعرفه جيداً المشتغلون بالسياسة الخارجية، "لا يجب أن يتوقف الحوار، فعندما يتوقف الحوار، يبدأ القتال".

أنتقل الآن للشق الثانى من المثل الشعب والذى يبدو فى الظاهر بعيداً عن الشق الأول أو منفصلاً عنه، بينما هو فى الواقع مرتبط به أشد الارتباط، عندما تغسل ثوبك، اجعله نقيا "إنقيه".

الثوب هو ما ترتديه ويشملك ويحيط بك. هو شكلك وهيئتك الظاهرة للآخرين، هو مكتبك، أو شركتك أو مؤسستك، أو مجتمعك أو حكومتك. هى كلها فى حاجة لعمليات غسيل دورية تماماً كملابسنا، امر طبيعى أن تتسخ أو يتراكم عليها العرق أو يكسوها التراب، عند ذله ستقوم بتنظيفها، حسنا، أفعل

ذلك$بعزم وقوة وشمول. ظهر لديك موظف چنحرف، لا تتخلص منه وحده، تخلص مـڑ كل المنحرفين، اكتشفت عاملا مهمقاً، تخلص من كل المهملين، اتضح مك غباء أحد أعوانك، تخلص من كل الاغبياء. أثبتت التجارب عندك أو عند الآخرين أنك تتبع قواعد فى العمل والسلوك بعضها خاطئ، لا تتخلص منها وحدها، ابحث عن كل القواعد الخاطئة وتخلص منها. وبذلك تكون رسالة هذا المثل الشعبى الموجهة لك هى: تطرف فى النقاء وليس فى الخناق، واجعل كل ما يحيط بك نقياً حتى لا تجد فيه جيرانك بقعا وثغرات يهاجمونك منها.

إننى أطلب من أساتذة الإعلام والعلوم السياسية أن يهتموا بتدريس هذا المثل الشعبى لطلابهم من أجل خلق جيل يجيد فن الإعلام وفن السياسة ويمارسهما بنبل وقوة.

قد تسألنى: ولكن ماذا عن الجار الذى لا يرعى حرمة الجيرة ويهجم علىّ بمدرعاته ليدمر وجودى نفسه؟

وأرد عليك: هل تعتقد أن أجدادنا كانوا غافلين عن مثل تلك الحالة؟.. لقد كانوا واعين تماماً وقالوا فى اختصار رائع وحسم: "مافيش بعد حرق الزرع جيرة".

عويل بلاده
عويل بلاد
الناس

صديقى الحاج أحمد نجار ممتاز وناجح فى دمياط. عرض عليه أحد معارفه أن ينقل نشاطه إلى ليبيا فيفتح هناك ورشة ومعرضاً للموبيليا وكأى زوج دمياطى مخلص عرض المشروع على زوجته فلم تعترض ولم توافق ولم تناقش المشروع، فقط ردت عليه بذلك المثل الغريب الذى لا يمكن أن يوجد إلا فى بيئة صناعية تقدس العمل منذ مئات السنين.

العويل هو الشخص العاجز الذى يعوله الآخرون. وعندما يكون الشخص عاجزاً فى بلاده لأسباب راجعة له وحده فلابد أن يكون عاجزاً أيضاً فى بلاد الآخرين. تستطيع أن ترد على قائلاً: ولكن هناك أشخاصاً خرجوا من بلادهم وحققوا نجاحاً كبيراً فى بلاد الناس.

ليس هؤلاء ما يقصدهم المثل الشعبى، هؤلاء أشخاص يتمتعون بمواهب كبيرة تعجز بلادهم عن استيعابها فى ظروف تاريخية معينة فقد يحدث فى مثل تلك الظروف أن يستولى العجزة والمحرومون من المواهب على المواقع المتميزة فى مجالات

العلم والعمل. فيتحولون إلى سد منيع يحول بين أصحاب المواهب وبين الوصول إلى مواقع جديرة بهم. عند ذلك يخرجون إلى بلاد الناس، فيحتضنون مواهبهم ويقدرونها ويستفيدون منها عند ذلك تحتل اسماؤهم صفحات الجرائد والمجلات ووكالات الأنباء.

أما ما يقصدهم المثل فهم هؤلاء العجزة والمحرومون من المواهب والقدرات، العاجزون عن إتقان عملهم فى بلادهم، ونتيجة لذلك يخرجون إلى بلاد الناس على أمل النجاح هناك بضربة حظ. المشكلة إذن ليست فى كثرة البشر ولكن فى كثرة العجزة وقلة القادرين على الإتقان. إذ وافقتنى على ذلك، سيكون الحل هو الإقلال من عدد العجزة إلى أقصى حد والإكثار من عدد العاملين المدربين إلى أقصى درجة. أنا أتحدى أن يوجد شخص واحد فى مصر يجيد أى مهنة يعانى من قلة الطلب عليه. لو أن شخصاً أنشأ شركة لأعمال السباكة يعمل بها سباكون حقيقيون لكسب الملايين. إن أسوأ ما يصيب الإنسان هو أن يرضى عن نفسه وأن ينافقها، فيغنى طول اليوم ياسلام علىّ، أنا هايل، أنا حلو، أنا عظيم، أنا مفيش حد قدى.. نوع غريب من المخدرات نتعاطاه فى كل لحظة يمنعنا من رؤية ما يحدث لنا ومنا، وعندما يتطلب الأمر عملاً شاقاً وإنجازاً محدداً بوقت نجد العمال الكوريين يعملون فى بلادنا لتشطيب أحد الفنادق فلا نشعر بالألم أو بالخجل.

يقولون أن عدداً كبيراً من الحرفيين المصريين فى بلد عربى

َجلسون فى الميادين والمقاهى وقد صصوا أدواتهم أمامهم على الأرصفة،لفى انتظار من يأتى يطلبهم لعمل مه. وأنا أقول هم ليسوا من الحرفيين. فالحرفى هو من يتقن حرفته. هذه‹هى المأساة، "الأوهام" أعرف عددا[كبيراً من العاملين فى حقل السّنما والمسرح كل منهم يتوهم أنه مؤلف أو مخرج أو ممثل وأعرف أشخاصاً كثيرين فى حقلى الادب والصحافة يتصورون أنهم كتاب. الكارثة أن القراء – من قوة الحصار وكثافته– يشاركونهم هذا الوهم.

نحن نبنى المبانى فتتشقق بعد أيام، ننشئ الطرق فتتكسر بعد ساعات، نهمل فى عملنا فتنفجر الغلايات وتحول البشر إلى جثث، عند ذلك تنشر الإعلانات فى الصحف توضح أن الذى انفجر هو "حلة" وليس غلاية، كما لو كانت حلة محشى هى التى انفجرت وليس حلة عملاقة تحولت إلى قنبله.

يجب أن يعامل المهمل معاملة المجرم الآثم، أما العاجز فلابد من تدريبه وتعليمه، إن الإتقان هو الحياة نفسها، فحتى لو ضاقت بنا الأرض، وأصبح من المحتم علينا أن نذهب إلى بلاد الناس فلابد أن نتقن تخصصاتنا، لسبب بسيط هو أن عويل بلاده.. عويل فى بلاد الناس.

تعلم في المتبلّم.. يصبح ناسي

"المتبلّم" هو الشخص المبلم، المنذهل المتحير الذى لا يعرف رأسه من قدميه. ونحن نستخدم هذا اللفظ عادة بعد أن نتناول وجبة طعام دسمة فتتصاعد أبخرتها من معداتنا إلى عقولنا فتغلفها بضباب كثيف، أو بعد سماع خبر غير معقول، أو عند التعرض لصدمة كبيرة، أو عندما يطلب منا أداء عمل ليست لدينا أدنى فكرة عنه. فنقول مثلاً "بالأمس دعانا فلان للعشاء، وقعدنا ناكل وناكل وبعديها قعدنا مبلّمين".

أو نقول: هو قال لى الحكاية دى، وأنا بلّمت.. يعنى توقف عقلى عن التفكير.

المثل هنا يقول بوضوح: من الخطأ أن نتعهد بالتعليم أو التثقيف أشخاصاً لا تعمل عقولهم بالكفاءة المطلوبة. وكفاءة العقل هى قابليته للاستفادة من خبرات الماضى وربطها بالحاضر من أجل صنع المستقبل الذى نتصوره. والقدرة على ربط الأسباب بالنتائج والفصل بين الواقع والأوهام وبين الخطة الواقعية والأمانى الخيالية. وخطورة الشخص "المبلّم" تكمن فى أنه قادر على خداعك، فأنت تعلمه فى المساء جدول الضرب مثلاً ولكى تتأكد من استيعابه، توجه إليه الاسئلة، عند ذلك يعطيك الاجابة الصحيحة، ولكنه فى الصباح سينسى كل ذلك.

"والمبلّم" قد يكون مواطناً عادياً، أو مسئولاً كبيراً، أو حكومة

بأكملها، أو شعباً بأسره فكل حدث يمر علينا فى الحياة، مؤلماً كان أو لذيذاً، يعلمنا شيئاً جديداً ويكشف لنا عن أنواع خاطئة من السلوك نمارسها، عند ذلك نقول: لقد تعلمنا من الهزيمة أو النكسة كذا... وكذا.. وكذا.

أو نقول: لقد تعلمنا من كارثة الريان وشركات توظيف الأموال كذا.. كذا.. كذا.

أو لقد تعلمنا من الحكم الشمولى كذا.. وكذا.. وكذا.

أو لقد علمتنا أحداث الخليج كذا.. وكذا.. وكذا.

ولكن بعد مرور عدة أيام أو عدة شهور ننسى ماتعلمناه ونعود لما كنا عليه لسبب بسيط، أننا "مبلمين" ننسى فى الصباح ما نتعلمه فى المساء.

ولكن، هل هذا المثل تقرير واقع وتحصيل حاصل؟ ام ان له هدفا أبعد، الواقع أن هذا المثل يحمل فى طيات حروفه حكمة أكبر ودروساً أشمل ويحرضنا على تبنى فكرة أكثر أهمية مما يقوله فى الظاهر. هو يقول: بما أن المتبلّم ينسى فى الصباح ما يتعلمه فى المساء، لذلك يجب علينا أن نقضى على حالة "التبليم"، أن نحارب انعدام الكفاءة العقلية، وان نحافظ على عقول البشر نشطة متفتحة كالزهور النضرة. يجب أن تظل عقول البشر يقظة قادرة على فهم الواقع المحيط بها، والسبيل الوحيد لذلك هو أن

نعامل عقول البشر باحترام شديد، وذلك بأن نعرض عليها الحقائق فقط. وندربها على فهم جزيئات الحياة.

إن إحاطة العقول بالأكاذيب أو الأوهام أو الأفكار الخاطئة أو عدم تبصيرها بالأخطار التى تحيط بها تحول البشر إلى قطيع "مبلّم" عند ذلك تتملكنا التعاسة، يتحول كل منا إلى محطة إرسال تعسة تسير على قدمين فى الشوارع والمكاتب والمصانع والحقول، تبث برامجها بلا انقطاع. والتعاسة كما هو معروف هى المحطة الأولى على طريق الجريمة والعنف والتطرف.

فالتعس وليعوذ بالله، يفرض تعاسته على بيئته وعلى من يحيطون به، يدخل عليك بدبابة، يدخل عليك بقانون، يضربك بمطواة، بجنزير، يلفق لك تهمة، يسرقك، يكذب عليك، يخدعك، يقدم لك فيلما سخيفاً، مسرحية منحطة، كتاباً أهبل.. يعنى يحاول بكل الطرق أن يجعلك شقياً تعساً مثله. عند ذلك تكون المعادلة التى يقدمها المثل الشعبى هى:

واحد مبلّم + تعاسة + عدم قدرة على فهم الواقع – فن وأدب وثقافة + جهل + أوهام وخرافات – تعليم راق + تربية سيئة = الجريمة بكل أنواعها.

والمثل أيضاً يحمل دعوة صريحة من الأجداد للتمسك بإنسانية الإنسان، فالتعريف الوحيد الصحيح للإنسان هو أنه

حـيوان له تاريخ، بمعنى الوعى بأن حـيـاته مكونة من لحظات متصلة، يعى مـاذا حدث له بالأمس وأول أمس ومنذ عشرة آلاف عام ثم يستفيد من ذلك كله، وكلمة يستفيد هنا بمعنى أن يتعلم ولا ينسى مـا تعلمه. بينمـا الحيوان يحيا فى لحظات منفصلة منذ لحظة ميلاده إلى أن ينفق. وبذلك يكون العلم والتعليم همـا أشرف نشاط إنسانى على وجه الأرض.

هل تعلمت شيئاً جديداً من هذا المثل؟

اوعى تنسى....

تراعيني قيـراط

في العيـادة الشعبية النفسية

أعـجـبتنى حلقـات تليـفـزيونيـة أجنبـيـة تتنـاول الحيـاة اليـومـيـة لشـرطى داورية عـجـوز. فى كل حلقـة كـان المؤلف يضـع الشرطى العجوز فى مواجهة حادث مفاجئ ثم يتابعه وهو يسيطر على الموقف مسـتـغلاً علمـه الأمنى وخبرتـه الحياتيـة الطويلة، فى إحدى الحلقات خرج الشرطى العجوز إلى الدورية ومـعه شـرطى شاب تخرج لتوه من كلية الشرطة لكى يشرب منه أصول الصنعة ولكى يستفيـد من خبرته الطويلة. بعد لحظات من وجودهما فى المكان المخصص لهما على ناصية أحد الشوارع الهامة فوجئا بصرخات وصيحات فزع وشـاهدا الناس وهى تجرى مذعورة فى كل اتجـاه وكـأنهـا تفـر من خطر داهـم. أسـرعـا لمكان الحـادث ففوجئا بالمشهد التالى:

شـخص ضـخـم الجثة له ملامح أسـيوية يقوم بتـحطيم إحدى السيارات، كان الرجل يطلق صرخات عـالية ثم يقفز فى مرونة فى الهواء وكأنه غوريلا ثم ينقض نازلا بكل ثقله على السيارة محطما سقـفهـا، ثم يطوح ذراعه برشـاقـة وقـوة مكسـراً زجاج السـيـارة

الخلفى بعدة ضربات أخرى. بعد ذلك يبتعد عن السيارة عدة أمتار ليندفع ناحيتها بساقه وكأنه بلدوزر، أو كأن له ساقا من الصلب، تجمع الناس يراقبون فى فزع ما يحدث للسيارة المسكينة بينما الرجل فى حركات استعراضية منتظمة يواصل تحطيم السيارة. نظر الشرطى العجوز فى هدوء لما يحدث بينما غلت الدماء فى عروق زميله الشرطى الشاب فصاح به: ماذا سنفعل؟ ألن نوقفه؟.. هل نتركه يجهز على السيارة؟

عند ذلك رد عليه الشرطى العجوز بهدوء: هل درست فى كلية الشرطة كيفية مواجهة غوريلا هائجة؟

فقال الشاب: لا...

فواصل الشرطى العجوز تدخين سيجارته بهدوء قائلا: حسناً... انتظر قليلاً.. أنا أيضا لم أتعلم كيفية التعامل مع غوريلا ثائرة..

استمر الرجل فى استعراضه وكأنه يقدم فاصلا من العزف التدميرى، تحطمت السيارة تماماً، تحولت لعلبة صفيح مطبقة، لم يستخدم فى تحطيمها شيئا ثقيلا أو آلة حادة، بل جسمه فقط، ساقاه وذراعاه وقبضته المجردة، وعندما انتهى من أداء مهمته وقف ينظر إلى حطام السيارة وكأنه معجب بما فعله فتقدم منه الشرطى العجوز وهمس فى أذنه ببعض الكلمات، عند ذلك انحنى

الرجل الغوريلا فى أدب عدة مرات ثم قدم يديه مضمومتين للشرطى العجوز بكل إحترام، فوضع الشرطى الكلبشات فى يديه واقتاده إلى سيارة الشرطة كالحمل الوديع.

استولى الذهول على الشرطى الشاب وسأل زميله: ماذا قلت له؟

فرد عليه: ولا حاجة.. قلت له إنه قدم عرضاً رائعاً، وأنها المرة الأولى فى حياتى التى أشاهد فيها رجلا يحطم سيارة بتلك الطريقة العبقرية، وأن الناس جميعا معجبة بما فعل.. أما الآن فأنا أطلب منك أن تذهب معى بهدوء إلى قسم الشرطة وإلا حطمت رأسك.. بعد ذلك مضى الشرطى العجوز يشرح لزميله فكرته عما حدث: كل إنسان جائع لاهتمام الآخرين.. وكل منا يقدم عرضه الخاص من أجل الحصول على اهتمام الآخرين، ولقد كان من الممكن أن يعتبرنا جزءاً من العرض ويدمرنا مثلما دمر السيارة، لذلك كان يجب أن ننتظر إلى أن ينتهى من تقديم عرضه.

هذه حالة واضحة لما يسمى بالجوع إلى الاهتمام، هذا الجوع يشعر به الإنسان الطبيعى - إذا كان هناك ثمة وجود لما يسمى بالإنسان الطبيعى - كما يشعر به الإنسان الذى يفتقر إلى التوازن النفسى. وهذا هو بالضبط ما يقصده المصطلح

الشعبى الذى يقول: عامل لى فيها مهم أو عاوز يعمل مهم أو كما نقول أحيانا إن فلانا جاء (وعمل الشويتين بتوعه).

كل منا يقول (أنا مهم) بطريقته الخاصة المتفقة مع درجة علمه وفهمه للحياة ومستوى تربيته. بمعنى آخر كل منا يشبع جوعه إلى الاهتمام بطريقة مثمرة ومفيدة للآخرين، هؤلاء هم عظماء الفنانين والأدباء والمفكرين والمخترعين ورجال الدولة الأفذاذ. هذا النوع من البشر يراعى الآخرين قيراطاً عند ذلك يراعيهم الآخرون قيراطين، وبذلك تتأكد صحة المثل الشعبى "تراعينى قيراط أراعيك قيراطين" يعنى اهتم بى لكى أرد لك الاهتمام مضاعفاً. أشبع جوعى للاهتمام عند ذلك أعطيك قدراً من التقدير يشبع جوعك للاهتمام.

منذ عدة شهور وقف زعيم سياسى يقدم اقتراحاً يحل أزمة مصر الاقتصادية فى ضربة واحدة.. كيف؟ كل أموال وكنوز الملك قارون مدفونة تحت بحيرة قارون، كل المطلوب منا هو أن نحفر فى أعماق البحيرة لكى نستخرج هذه الكنوز وبذلك تُحل جميع مشاكلنا الاقتصادية.

طبعا هو يعرف جيداً أنه لاتوجد كنوز ولا يحزنون فى أعماق بحيرة قارون وإلا لذهب هو ومجلس إدارة حزبه وحفروا هناك وحصلوا على الكنز، ويعرف أيضا أن مجرد تشابه الأسماء لا

يعنى بالحتم أن الملك قارون كان يخزن أمواله فى البحيرة، وحتى لو خـزنهـا هناك فـمن المؤكـد أن الورثة قـد بددوها منذ آلاف السنين. ولكنه الجوع إلى الاهتمام المقترن بالعجز الكلى عن مواجهة مشاكل الواقع والتعامل معها بشكل علمى، وعندما نقوم بتحليل اقتراحه فى عيادتنا فإننا نقرأه على النحو التالى: اهتموا بى.. اهتموا بما أقول.. أنا جائع إلى الاهتمام، وليست لدى وسيلة فعلية مثمرة ومفيدة لكم للحصول على اهتمامكم، لأنى أصلا لست أشعر بالرغبة فى الاهتمام بكم.. أنا عاجز عن الاهتمام بكم ومع ذلك أريدكم أن تهتموا بى وبما أقول .. اسمعونى.. سأقول لكم شيئا فريداً، عظيماً، غريباً، هائلاً، ممتازاً، أغرب من الخيال يحل مشاكلكم الاقتصادية بضربة واحدة.

إن الإحساس بالجوع إلى الإهتمام ميل طبيعى ورغبة مشروعة عند كل البشر، ولكنه يتحول لمرض خطير مدمّر عند هؤلاء الذين يريدون إشباع هذا الجوع بشكل شاذ نتيجة لافتقارهم إلى التوازن النفسى. فى هذه الحالة قد يقومون بتدميرنا جميعاً إذا توافرت لهم الوسيلة لذلك، فقط لكى يثبتوا لنا ولأنفسهم أنهم مهمون.

بنـدق يغني

عشت سنوات طويلة فى حى أحمـد بن طولون وهو حى شـعـبى من أحـيـاء القاهـرة القديمة يحمل كل ملامح البشر من طيـبـة وكـبـرياء وعنف. والخناقـات فى هـذا الحى لا تنقطع، والتفاهم يتم أحياناً كثيرة بين الفرقاء المتشاحنين والمتعاتبين بنوع من السيوف يطلقون عليها اسم "السنج" ومفردها "سنجة". ومن الغريب أن هذه الخناقـات كـثـيراً مـا كـانت تحـدث فى الأفـراح والليالى الملاح.

من المستحـيل أن يمر فرح بسـلام، فلابد من خناقه فى أخر الليل تطير فيها الكراسى مصطدمة بلمبات الكهرياء الكبيرة، ويتخرشم فيها العريس، وتُشج رأس العروسة وينتقل عدد لا بأس به من المدعوين إلى أقسام الحوادث فى المستشفيات.

وفى الصبـاح تبدأ تفاصيل مـا حدث فى الظهور، فيـتناقل الجالسون على المقاهى وفى البيوت أخبار المعركة، كما تنشـرها الصـحف فى حالة جسامة الإصابات أو سقوط بعض القتلى من بين المدعوين.

القاعدة هى أن ينتهى الفرح، كل فرح، وأى فرح بمعركة. هذا أمر حتمى يتقبله الناس وكأنه قدر، أو كأن الفرح لا يكون فرحاً إلا إذا انتهى بمذبحة، أو كأن الخناقة تفقد أهميتها إذا لم يسبقها فرح. ولكن لماذا؟

لماذا يجوب الفتوات الشوارع والحوارى بحثاً عن فرح لإفساده؟ وهل هم يذهبون أصلاً إلى الأفراح بنية إفسادها؟.. هذا أمر عسير على التصديق، إن الجو العام فى الأفراح من رقص وغناء وإحساس بالبهجة يدفع على الشعور بالرقة والاستمتاع والاسترخاء، فما هى العمليات العقلية التى تحدث داخل عقول الفتوات والشُضَلية (الشضلى هو الشخص الصايع الذى يكتسب أهميته من إيذاء الآخرين) بحيث تدفعهم إلى الضرب والتكسير والتحطيم؟ انشغلت بهذا السؤال زمناً طويلاً وأخيراً قررت أن أحضر أحد هذه الأفراح لكى أدرس الأمر على الطبيعة، لابد أن أرى رأى العين كيف ينشأ التوتر فى جو الفرح ثم كيف يزداد فى اتجاه الضرب والتحطيم، كما أتابع صيحات الاستحسان والزغاريد وهى تتحول إلى صرخات استغاثة.

وذات خميس بعد صلاة العشاء، تجولت فى حيّنا بحثاً عن فرح. فكانت هناك عدة أفراح متناثرة فى الحى، ولكنى اخترت أفخمها لعلمى بأن أفخم الأفراح هو الذى يغرى بالتكسير ويبشر بأعظم الخناقات.

اتخذت مكاناً استراتيجياً يمكننى من المراقبة بوضوح ويتيح لى فرصة الهرب بسرعة البرق والاختفاء فى حارة جانبية وذلك فى حالة الحصار والتطويق أو الاختراق، ثم الانسحاب المنظم إلى منزلى القريب. مرت عدة ساعات من الفرح فى حالة بهجة حقيقية.

غنى المطربون وألقيت المنلوجات والنكات، وأخيراً ظهر المعلم بندق وبعض أعوانه، بندق هذا، كان مجرد سماع اسمه فى الحى يبعث الرعب فى القلوب، كان رجلاً لا تعرف له عملاً محدداً، ولكنه كان مستقيماً على نحو ما، من السجن للبيت ومن البيت للسجن، كانوا يحكون الأساطير عن مهارته فى ضرب الروسية وعبقريته فى استخدام "السنجة" والبونية الحديد ورشاقته فى استخدام الشومة بطريقة مبدعة.

سعدت بمجيئه، فلابد أن تحدث الليلة خناقة كبرى تتيح لى العثور على إجابة علمية قاطعة على سؤالى، بما يترتب على ذلك من إثراء لعلم التحليل النفسى والسلوك الإنسانى. ولكن خاب أملى فقد كان المعلم بندق هادئاً ودوداً مبتسماً طول الوقت هو وأعوانه، واتضح لى من عبارات المجاملة والترحيب التى يتبادلها معه المدعوون أنهم جميعاً أصدقاء كما أنه أيضاً حيانى بابتسامة ملائكية قائلاً: مساء الخير ياسيدنا الافندى...

فرددت عليه التحية بأحسن منها وأنا مستاء لضياع وقتى فى هذا الفرح الشاذ وبدأت أفكر فى الانصراف واللحاق بأى فرح آخر بحثاً عن خناقه لاستكمال تجربتى العلمية.

انتهت المطربة من أداء وصلتها الغنائية وطلب منها بعض المدعوين أغنية أخرى غنتها، وفجأة صاح أحد المدعوين بصوت حاد مرتفع: عاوزين نسمع المعلم بندق.. انضمت لهذا الصوت أصوات كثيرة، وأخيراً رضخ المعلم لطلبات الجمهور وصعد إلى المسرح وهو يبتسم فى حياء.. ياللحظ العاثر.. لابد أن هذا الفتوة اعتزل الخناق منذ زمن بعيد.. تفاهم قليلاً مع الفرقة الموسيقية لاختيار الأغنية التى سيغنيها، وبدأت الفرقة تعزف المقدمة الموسيقية لأغنية ليلى مراد الشهيرة يا مسافر وناسى هواك.. رايداك والنبى رايداك..

وبدأ بندق يغنى، كان من الواضح أنه لا صلة له بالطرب من بعيد أو قريب، فقد أفلت منه الإيقاع أو أفلت هو من الإيقاع.. وفى أحد مقاطع الأغنية ارتفع بصوته لكى يساير الطبقة الموسيقية التى تعزفها الفرقة فتحشرج صوته واختنق بشكل فجر ضحكات السخرية بين المدعوين بالرغم من محاولتهم كتمانها.. التفت بندق إلى الفرقة الموسيقية والشرر يتطاير من عينيه: جرى إيه ياأساتذة.. إنتم بتعجزونى والا إيه..؟ وطُّوا الطبقة شوية.. مرة أخرى عزفت الفرقة اللحن من طبقة أقل، مسايرة لطبقة

صوته، عند ذلك خرجت من حنجرته أنغام غريبة تشبه صرير عجلات ترام يدخل مسرعاً فى ملف. وتحول صوته إلى حشرجة ثم انتابته فجأة نوبة سعال. الغريب أنه ولا واحد من المدعوين ضحك ساخراً منه، نظر الجميع له فى إشفاق وتشجيع بل أن بعضهم صاح فى إعجاب: الله يامعلم.. الله.. أعد..

ولكن بندق كان فى حالة يرثى لها، كان تجسيداً حياً للعجز البشرى، لقد أدرك فى لحظة أنه عاجز عن الغناء، عاجز عن التوافق مع الموسيقى ومع اللحن. ولكن هل هو حقاً عاجز عن الغناء أم أنها مؤامرة من الفرقة الموسيقية، بالقطع هى مؤامرة من الفرقة الموسيقية، والدليل على ذلك أنه يغنى لنفسه فى الحمام ويغنى فى السجن لزملائه، ويغنى فى الغرز لأعوانه بلا فرقة موسيقية ويحقق نتائج باهرة.

التفت بندق للفرقة الموسيقية قائلاً بصوت ينذر بالشر: عيب كده يا أساتذة... ابيضت وجوه أعضاء الفرقة الموسيقية وهم ينظرون له فى رعب، بعد ذلك حدث كل شئ فى سرعة مذهلة، تطايرت الكمنجات وبقية أدوات الفرقة الموسيقية، تطايرت الكراسى، سالت الدماء، تعالت الصرخات.. ساد الظلام..

الحمد لله، لقد حدثت الخناقة وعثرت على الإجابة..

والإجابة هى: العنف هو عجز عن الإبداع، عجز عن الغناء،

عجز عن مسايرة لحن الدنيا الجميل، عجز عن التنمية، هذا العجز لابد أن يدفع للعدوان على الآخرين، هؤلاء الذين يلوكون الكلمات ويعتدون عليها، ويشوهون الحقيقة عمداً أو عجزاً أو غباء، يمارسون نوعاً خطراً من العنف العقلى سيترتب عليه وينتج عنه بالحتم عنف مادى واضح ملموس.

لا يوجد أخيار وأشرار، يوجد أناس يعملون وأناس لا يعملون، ادفع الناس للعمل تجعل منهم أمناء، هذه كلمات ڤولتير وليست كلماتى.. أما أنا فأقول: استمع جيداً إلى محطات الراديو، أدر المؤشر على كل المحطات، إذا استمعت إلى كلمات غبية وبلهاء، إذا أستمعت إلى قصائد المداهنة والنفاق، إذا استمعت إلى شعارات جوفاء، فاعلم يا صديقى أن العنف قادم إلى هذه المحطة.. العاجزة عن الإبداع.

لذلك تصبح التنمية المبدعة المرتكزة على حقوق الإنسان الفرد، هى السبيل الوحيد إلى الاستقرار والسلام، التنمية هى السبيل الوحيد للتخلص من الفتوات الأغبياء والشضلية العجزة.

طبال، سباك، تمر هندي

فى شـهـر يناير من كل عـام تهـاجـمنى مـوجـات البـرد ونوبات الغـبـاء. البـرد يكسـر عظامى ويقـضى على مـزاجى ويسلم عقلى لحالة من الإجهاد تشعرنى بالعجز عن فهم ما يدور حولى إلى درجة أن أمور الحياة البسيطة تتحول بالنسبة لى إلى ألغاز.

حكاية جابر بتاع إمبابة، لن أدعوه أميراً، فالامير هو عضو الاسـرة المالكة فى النظم الملكيـة، أو هو من وصل فى إبداعه إلى أعلى الدرجات مثل أحمد شوقى أمير الشعراء ولن أدعوه شيخاً حيث لم يتلق تعليمـاً دينيـاً من أى نوع. من الخطأ أيضـاً أن أسـميه رئيس جماعة الجهاد الإسلامية، أو رئيس الجمـاعـة الإسلامية فى حى امبابة لأن ممارسته لا صلة لها بالإسلام أو أى دين آخر. من الصعب أيضاً أن أسميه المواطن جابر فعندما يقوم بحرمان الآخرين من حقوق المواطنة، يحرم هو منها أيضاً تلقائياً. هل أدعوه السيد جابر؟

لا: لسبب بسيط، هو أنه ليس سيداً، فالسادة يحترمون سيادة

الاخرين. بينما هو عبد لنزعاته الشريرة ولمن أستولوا على عقله وروحه، وأخيراً أنقذتنى أجهزة الإعلام وتصريحات المسئولين: لقد كان جابر يعمل طبالاً، مع إحدى الراقصات، وكان نائبه "تصور أن له نائباً أيضاً" يعمل صبى عالمة، والعالمة فى العامية المصرية ليست تلك الأستاذة التى تقضى عمرها فى معامل البحث العلمى أو بين المراجع، ولكنها الراقصة متوسطة القيمة فى القرى والمدن الصغيرة.

الحمد الله أخيراً عثرت على الصفة الصحيحة التى أدعوه بها، جابر الطبال، أو جابر البلطجى.

- ولكنه لا يعمل الآن طبلجيا، هو طبلجى سابق.

بسيطة نسميه جابر الطبلجى سابقاً، الإرهابى حالياً. ولكن ما صلة الطبلة بالإرهاب؟

لقد عرفنا من قبل أن الإرهاب له صلة بالكباب. فهل له صلة أخرى بالطبلة والرق وسائر الايقاعات الموسيقية؟ هل كل الطبلجية لديهم استعداد خاص للإرهاب؟ ومن ثم يصبح من الضرورى الآن القبض على كل الطبالين فى كل الفرق الموسيقية وعزلهم فى مكان أمين حماية للمجتمع من شرورهم وإرهابهم المتوقع. أم أن بعضهم فقط لديه ذلك الاستعداد؟

وما هى الجهة المؤهلة علمياً للكشف عن الطبلجية ومعرفة

الطبيعى والإرهابى من بينهم؟ كيف يمكن التعرف على الطبلجى الطبيعى والتمييز بينه وبين الطبلجى المتطرف؟ وإذا كانت هناك صلة بين الإيقاعات الموسيقية والإرهاب، فما هى.

اسئلة محيرة، عجزت عن الإجابة عليها جميعاً فذهبت إلى صديقى "أبوعلوة" وهو مفكر محترف لا يشغله فى الدنيا شئ سوى التفكير الفلسفى فى أحوال البشر.

طرحت عليه كل اسئلتى دفعة واحدة فأجابنى بابتسامة: أنظر إلى حركة دوران الأرض حول نفسها، أنظر إلى إيقاعات شروق الشمس وغروبها، أنظر إلى دورة الزراعة، أنظر إلى حركة البشر فى الحياة، ألا ترى أن هناك إيقاعاً موسيقياً ينتظم هذا الكون كله؟ وأن البشر يكونون فى أفضل حالاتهم عندما يعملون ويتحركون وفقاً لهذا الإيقاع، أو لا يستجيبون له، أو يبطئون فى إيقاعاتهم عن إيقاع الحياة الأصلى.

– أوضح يا "أبو علوة" أفادك الله..

– الحياة فعل ورد فعل، يقرصك ثعبان الآن فعلى الفور تصرخ أى.. أليس كذلك؟

– بالتأكيد..

– لنفرض إنك قلت آى بعد عدة دقائق، أو عدة ساعات، أو عدة إيام.. فماذا يحدث..؟

- أنتقل إلى القرافة طبعاً.

- بالضبط لأن السم يكون قد سرى فى أحشائك، السم هنا يلتزم بإيقاعاته الطبيعية فى التحرك داخل جسمك بينما أنت خرجت عن إيقاع الحياة الحتمى بتأجيلك إطلاق صيحة الألم.

- وهل هذا معقول يا "أبوعلوة" هل من المعقول أن يؤجل الإنسان صيحة الألم الناتجة من لدغة ثعبان؟

- للأسف يحدث ذلك فى السياسة، بدافع من الاحتقار وليس الغباء، رجل الدولة هنا يقول لنفسه، هل من المعقول أن أقول آه لمجرد أن ثعباناً حقيراً لدغنى، أنا قادر على تحمّل اللدغة لأننى قوى.. أنا قوى جداً، لن أهتز.. ماذا سيقول عنى الآخرون من المواطنين البسطاء.. إن الاحتقار ياصديقى هو أخطر انفعال بشرى على وجه الأرض، ليس من الناحية الأخلاقية، بل من الناحية العلمية، لأنه يخفى عنك حقيقة ما يحدث أمامك والنتائج المروعة المترتبة على حدوثه. لذلك تجد أن الإعلام - بدافع من الاحتقار - خدع نفسه عندما ركز على أن جابر كان طبلجياً وأن الآخرين كانوا سباكين وسماكين وكهربائية.. إبحث خلف الكلمات تعرف حقيقة النفس وحقيقة نوعية التفكير الذى يحركها.. الواقع أن جابر ليس جديراً، بالاحتقار لأنه طبلجى، أو سباك أو سماك أو سكرتير خاص لراقصة، على العكس من ذلك هو جدير

بالاحتقار لأنه كف عن ممارسة مهنته المفيدة له وللآخرين، إن احتقار المهن البسيطة خطأ لا يغتفر فى دولة عصرية، ألا تلاحظ أن هذا المجتمع يعانى من كثرة عدد العباقرة فى كل مجال وخاصة فى الحكومة، ويعانى فى الوقت نفسه من انعدام أصحاب الحرف البسيطة؟ الطريف أن أصحاب الحرف اليدوية البسيطة وهم على وعى بذلك، يمارسون احتقارهم لنا المنعكس عن احتقارنا لهم.

يتضح ذلك من مغالاتهم فى أجورهم وإهمالهم فى عملهم. لذلك تجد فى هذا المجتمع شخصاً حائزا على جائزة نوبل، ولكن لن تجد سباكاً جيداً. أنا أتحداك أن تجد سباكة جيدة فى أى مبنى فى طول وادى النيل وعرضه، أؤكد لك أن المياه التى وفرناها من السد العالى تضيع كلها فى المجارى نتيجة المحابس والسيفونات الفاسدة والمواسير التى ركبت بشكل خاطئ.

لو أن لدينا سباكين جيدين لتمكنا من زراعة الصحراء بهذه المياه الضائعة، أما مقولة أن جابر كان طبلجياً فهى مقولة غريبة تعطى إيحاء باحتقار الرقص والموسيقى وبذلك يلتقى التياران فى مصب واحد.

على الأقل هم يعبرون عن وحشيتهم وعن رغبتهم فى تدمير الحياة فى مصر بكل وضوح، هم يقولون: لا للموسيقى، لا للفن،

لا للديمقراطية، لا للكتابة، لا للقراءة، لا لكل شئ.

ونحن نقول، هذا طبلجى، وهذا سباك، وهذا سماك، وهذا كهربائى يعنى: لا لضابط الإيقاع فى الفرقة الموسيقية، ولا للسباكة، ولا لعمال الكهرباء، ولا لمهنة بيع السمك، أليس كذلك؟ بدافع من الاحتقار نرى الثعبان نملة، ونرى العقرب صرصاراً، تصور أنك مسئول أمنى فى قسم شرطة، يدخل عليك أحد المواطنين شاكياً: فيه واحد اسمه جابر، ومعاه شوية ناس ضربونى.. وكسروا دكان الفيديو بتاعى.

- جابر مين؟ الطبلجى ده..؟!

- أيوة.. ولكنه الآن لم يعد يضرب الطبلة، هو يضرب البشر.. ويحصل منهم على إتاوات.

إن إيقاع الحياة هنا يحتم عليك الانتقال فوراً للقبض على جابر وتقديمه للمحاكمة، والأمر لن يكلفك سوى أثنين من المخبرين فقط، ولكنك لا تفعل ذلك، لأنك تحتقر عدوك، وبالتالى تهون من شأنه، هل من المعقول أن تتحرك من أجل واد بلطجى طبلجى؟! بالتأكيد أنت مشغول بجرائم أكثر أهمية.

ولكن جرائم الواد جابر تتزايد وتتعدد وتنتشر وتكتشف حضرتك أن قوة القسم كلها، بل قوة المديرية لا تستطيع مواجهته هو والعيال اللى معاه، عند ذلك تكتب لرؤسائك محاولاً قدر

استطاعتك أن تخفف الأمر عنهم فى تقريرك، ولكن رؤساءك مشغولون فيما هو أجل وأخطر، عجز الميزانية، البنك الدولى، تحويل القطاع العام إلى قطاع عام برضه.. و.. و.. و.. ولكن قد يجدون الوقت للتساؤل: إيه حكاية الواد جابر ده؟

– ده يافندم واد كان بيشتغل طبلجى.. والواد اللى معاه صبى عالمة.

– آه.. طب ما تشوفوا حكايتهم إيه..

– حاضر يافندم.

وتكون نتيجة التأخير فى رد الفعل وعدم التحرك فى الوقت المناسب، بدافع من احتقار ماهية العدو ومهنته، أن يأتى الوقت الذى تضطر فيه لمحاصرة منطقة امبابة كلها بأكثر من ١٤ ألف جندى وضابط.. لأداء مهمة لا تتطلب أكثر من ضابط واحد وعدة جنود، بشرط القيام بها فى الوقت المناسب.

عن الرقص والترقيص

يقـول أبو علوة: الرقص بمعنى تحـريك الجسم مع الإيقـاع فى نشـوة، نزعـة غريزية إنسـانية، من المستحيل العثور على شخص لم يرقص ولو لمرة واحدة فى حياته على الأقل. هذه نزعة طبيعية مركبة داخل أى إنسان طبيعى ولكن بعض البشر - لأسباب نفسية واجتماعية كثيرة - تتحول عندهم هذه النزعة من رغبة فى الرقص إلى رغبة فى الترقيص.

نجد هذه الظاهرة عند بعض لاعبى الكرة، إنه يضحى باللعبة المباشـرة التى قـد تؤدى إلى إحـراز هدف من أجل أن يقـوم بترقيص اللاعب المواجه له، عند ذلك يكسب صيحات الاستحسان من الجمهور مضحياً بنتيجة المباراة نفسها. إن هدفه ليس إحراز النصر بقدر ماهو العدوان على اللاعب المنافس. لذلك تجد لاعب الكرة الناضج العظيم لا يهتم بترقيص اللاعبين ولكن بالتصويب على المرمى. إذن الرغبة فى ترقيص الآخرين نقيصة بشرية ناتجة عن سوء التربية. هذه الرغبة فى الترقيص تكون أقوى ما تكون عند الطبلجى ولكنه يحول تلك النقيصة إلى إبداع، وذلك عندما

يعى أن كيانه وشرفه الشخصى ومكانته فى المجتمع تتوقف على قدرته من خلال أصابعه على ترقيص الراقصة.

لذلك قال الأقدمون "فى غياب الراقصة لا وجود للطبلجى" و "فى غياب الطبلجى لا أهمية للراقصة" والراقصة تعرف ذلك جيداً، تعرف أن شهرتها وكيانها ومركزها المالى تحدده قدرات الطبال الخاص بها، فى أصابعه تكمن أسباب رفعتها وفشلها، لذلك نرى أن زواج الراقصة من الطبال الخاص بها أمر شائع. إن كل العازفين يعزفون على آلات تتسم نغماتها بالثبات أما الطبلجى فهو يعزف على جسم رجراج، طبق بالوظة، أو مهلبية أو جيلى وهذا أمر صعب للغاية.

ولكن لنفرض أن الطبلجى عجز عن ممارسة مهنته، عجز عن الإبداع، عجز عن التعامل مع الإيقاع، هنا تحدث الكارثة، وهذا ما حدث فى حكاية جابر بالتحديد، فشل فى التعامل مع المهلبية والملبن، لذلك أراد أن يدفع المجتمع كله ثمن فشله وعجزه، وذلك بترقيص المجتمع نفسه، بترقيص كل سكان الحى ثم الانتقال بعد ذلك إلى أحياء أخرى. لقد تحول إلى ضابط للإيقاع فى أوركسترا العدوان الوحشى. إذا بحثت جيداً فى الدوافع النفسية عند أعداء الفن والمدنية والحرية ستجد أنها ببساطة الرغبة الوحشية فى ترقيص الآخرين. هل تذكر التعبير العربى الشهير "كالطير يرقص مذبوحاً من الألم"؟

من هنا نستطيع أن نقول أن العجز عن الاستجابة لإيقاعات الحياة العصرية الحقيقية، تلك الإيقاعات التى يحددها الدستور والقانون والتقاليد والأعراف. ذلك العجز يدفع بعض الناس إلى إحداث أكبر قدر من الآلام للآخرين للاستمتاع بمشاهدتهم يرقصون مذبوحين من الألم.

أنظر حولك وحاول التعرف على هؤلاء الذين يحاولون ترقيصك للاستمتاع بألمك وعجزك وفزعك، الموظف العام الذى يدفع بأوراقك من مكان لمكان فى سلسلة لا تنتهى من الإجراءات ، السياسى الذى يدفع بك فى كل إتجاه، الكاتب الذى يتلاعب بك ويرقصك بعيداً عن الحقيقة، كل هؤلاء نماذج فشلت فى الاندماج مع إيقاعات الحياة فحاولت خلق إيقاعات خاصة بها. الهدف منها هو العدوان على الآخرين.

- أفادك الله يا "أبو علوة" كما أفدتنا، هل تسمح لى بأن أثقل عليك بسؤال يحيرنى، لقد علّمْتنا من قبل ألا نتوقف عند سطح الكلمات أو ظاهرها، بل نغوص بداخلها لمعرفة المعانى الحقيقية المختبئة بين حروفها. لماذا أختارت اللغة أن تكون كلمة "طبلجى" قريبة جداً من كلمة "بلطجى" إنها نفس الكلمة ونفس الحروف مع اختلاف وضع الباء وهى أيضا نفس النطق.

- سؤال جيد، هذه هى عبقرية اللغة، التى اكتشفت الصلة بين

البلطجة والرغبة فى إيلام الآخرين بترقيصهم، البلطجى من البطالة، ومن الباطل أيضاً. لقد اختارت اللغة أبشع الألفاظ لتصف بها حالة البطالة، من ذلك المثل الشعبى الذى يقول "الإيد البطالة نجسة". ومن التعبيرات الشهيرة أيضا أن "فلان ماشى مشى بطال". وذلك لأن الخبرة الإنسانية أثبتت أن الشخص الذى لا يعمل يصبح مصدراً أكيداً للشر والعدوان، ومن هنا يصبح من المحتم أن نعمل دائماً على خلق فرصة عمل جديدة للبشر فى كل لحظة، ففى كل فرصة عمل خير للبشر جميعاً، وفى كل قرار أو إجراء مقيد لحرية العمل فرصة للشيطان، فالإنسان مفطور على تأكيد ذاته، إما أن يؤكدها عن طريق العمل، أو يؤكدها عن طريق البطالة، أى يمشى مشياً بطالاً، يعنى فى طريق الباطل، باختصار، يتحول إلى بلطجى.

ومن الغريب، أنه بعد أن اكتسبت الموسيقى فى مصر أبعاداً راقية بإنشاء المعاهد العليا وتخريج أجيال من العازفين المثقفين المحترمين، تخلت اللغة عن وصف "طبلجى" ونحتت وصفا جديداً هو "ضابط الإيقاع" وذلك للهروب من المعنى القديم الذى كان يعطى إيحاء بالبلطجة، وأيضا لإعطاء الشخص أهمية، فكلمة ضابط - خصوصاً فى العالم الثالث - تبعث على الاحترام الشديد.

- ولكن لماذا يؤكد بعض الناس ذواتهم عن طريق العمل

المثمر، ويؤكدها البعض الآخر عن طريق البلطجة؟

– لسبب بسيط، أقوى قوة دافعة داخل الإنسان، هى العدوان، وبالتعليم والتربية الحسنة يتكون الضمير الذى يقمع العدوان ويسيطر عليه، إنه الدريكسيون البشرى، هو الذى يقودك على طريق الحياة السليم لمصلحتك ومصلحة الآخرين، وفى غياب هذا الضمير، تتحول غريزة تأكيد الذات إلى عدوان نشط، حتى على صاحبها... نشرت الجرائد هذا الأسبوع خبراً طريفاً عن لص مساكن تائب، طبعاً اللص التائب يرحب به المجتمع وتنشر له صورة فى الجرائد وهو يصافح بعض كبار المسئولين فى الداخلية، وقد يظهر فى بعض برامج التليفزيون، هنا يشعر المجرم التائب بلذة كبرى، يشعر بأنه مهم، وأن ذاته قد تأكدت ثم.. ينساه الجميع. هل تعرف ماذا حدث له بعد ذلك؟ عاد للسرقة، اقتحم شقة وسرق ما بها ثم اتصل – من تليفون الشقة – برجال المباحث وأبلغهم أنه عاد للصوصية وطلب منهم الحضور للقبض عليه.

الرجل هنا عاد للصوصية ليس من أجل السرقة، ولكن من أجل أن يشعر باهتمام الآخرين. تماماً كهؤلاء الأساتذة الأجلاء الذين ينشرون على الناس آراء وأفكار شريرة، بل ويحرضون على القتل علناً، هم يشعرون بانعدام أهميتهم فى هذا المجتمع، جائعون للأهمية، ويفتقرون إلى الوسائل اللازمة للحصول على

إعجاب واهتمام الآخرين بطريقة طبيعية، لذلك يلجأون إلى البلطجة، إن طاقة العدوان الكامنة داخل الأستاذ زفت الذى يدافع جهاراً نهاراً عن القتلة، ويحرضهم على المزيد منه، هى نفسها طاقة العدوان الموجودة داخل السيدة أم كلثوم، ولكن أم كلثوم موهوبة، ذكية ومثقفة، متعلمة، حسنة التربية، لذا استطاعت أن تحول عدوانها إلى فن عظيم أكدت به ذاتها، وأسعدت الملايين وحصلت منهم على ما تريد وهو "الاهتمام".

إن الأستاذ زفت، وكل زفت آخر، لا يختلف كثيراً عن ذلك اللص التائب المسكين الذى عاد للصوصية، هو يرغب فى الحصول على الاهتمام، هو يقول: أنا سافل. أنا وغد، أنا إبن كلب. أنا عاجز عن فعل أى شئ، لذلك سأكتب كلاماً سخيفاً فظيعاً وأنشر عليكم أفكاراً إجرامية.. سأحرض على قتلكم جميعاً.. لكى أرغمكم على الاهتمام بى.

- أعوذ بالله - ولكن كيف نحمى أنفسنا من هؤلاء؟

- الحل الوحيد هو خلق واقع جديد فوراً، طبيعى وقابل للنمو والازدهار.

مربة خرز البقر

منذ حوالى خمسة وعشرين عاما كانت الصيحة فى مصر هى التخن" أقصد زيادة الوزن" لم تقل ذلك مراكز الأبحاث أو مراكز الدراسات ولكن قاله الواقع الملموس المحسوس الذى لايمكن إنكاره أو دحضه. فجأة ظهرت أفيشات ملونة كبيرة بالمئات فى طول البلاد وعرضها تدعو لمنتج جديد إسمه مربة خرز البقر. بالإضافة للإعلانات المسموعة فى الراديو والمرئية فى التليفزيون. صيحة واحدة تحاصر أبصار الناس وآذانهم فى كل مكان: إتخن...إتخن...إتخن.

ومرت الأيام والشهور والسنون وتحولت الصيحة من إغراء البشر بزيادة الوزن إلى النقيض تماماً، الصيحة الآن هى: خس... خس... خس.

لاتفتح مجلة أوجريدة الا وتقرأ وصفة جديدة لإنقاص الوزن مئات المتحدثين فى عشرات البرامج فى الإذاعة والتليفزيون يحذرونك من السمنة والأخطار المترتبة عليها ويصف لك كل منهم طريقة لاتخيب لإنقاص وزنك .

من الغريب أن الصيحة الاولى صيحة التخن أثرت تأثيرا مروعا فى الفن المصرى وبالتالى فى تشكيل عقل المصريين. فقد قاد الحملة الإعلانية صوت جديد لمطرب جديد. استطاع أن يربط الموسيقى المصرية كلها بعجلته. فظهر نوع جديد من الموسيقى من الممكن أن نسميها الموسيقى العدوية.

وأنا اعترف أنها كانت موسيقى تطريبية جميلة متوافقة تماما مع صيحة التخن. فزيادة الوزن تجعل الحركة ثقيلة ومن ثم يعجز الإنسان عن الرقص السريع العنيف فلا يتبقى له الا أن يتمايل طربا بصعوبة فى جلوسه أو أثناء المشى .. ترتب على ذلك عودة التعبيرات الشهيرة التى كانت توصف بها الحسناوات فى العهود القديمة مثل أنها تمشى مثل البطة أو أنها لا تستطيع القيام من مكانها بسهولة. وعادت للأفواه تلك الشعارات العذبة مثل هز ياوز.. أوياأرض إتهدى ماعيلكى قدى.

طبعا الأرض لن تتهد لان انسانا نحيلا مشى فوقها، لابد أن يكون تخينا جدا. فى لحظة من لحظات التأمل الفلسفى وهى تمر على كثيرا هذه الأيام بدأت أتساءل: ماسر هذا التحول؟

لماذا كانت الصيحة هى: إتخن..إتخن.. إتخن.

ثم تحولت إلى: خس..خس..خس..

الإجابة السريعة التى تتبادر إلى الذهن هى، لقد كان

المصريون فى ذلك الوقت يبذلون جهدا كبيرا فى العمل، لذلك كان وزنهم يتناقص باستمرار، والان هم لا يعملون لذلك زادت أوزانهم زيادة مروعة.

الإجابة هنا سطحية ولا تفسر الظاهرة بدقة، لأنها لا تلقى الضوء على تلك الرغبة المحمومة فى " التخن" التى انتابت الجميع والتى جنى البعض من ورائها الثروات الطائلة. بالإضافة إلى أننى شخصيا أميل إلى الاعتقاد بأن المصريين حصلوا عل أجازة طويلة يستريحون فيها من الجهد الشاق الذى بذلوه فى بناء الهرم الأكبر.

ولكن قبل أن نمضى بعيدا فى بحثنا الفلسفى.. وحتى لايتوه منا القراء.. لنبدأ من البداية التى لاتوجد بداية قبلها. ماهى مربة خرز البقر؟

من الغريب أنه لاأحد اهتم بالتعرف على تركيبة تلك المادة العجيبة، ولكن إذا سمحتم لى بالاجتهاد أقول لكم، المربة هى المربة كما تعلمون، والبقر هو البقر طبعا، فما هو إذن هذا الخرز، قد تقولون : الخرز هو الخرز طبعا، جمع خرزة، ولكن ماصلة الخرز بالبقر؟

أنا أعتقد أن هناك تحريفا حدث بشكل متعمد لهذه الكلمة لاخفاء أصلها، أنا أعتقد أن الحرف الأخير فى هذه الكلمة كان

"ا" أو "ى" ثم تحول هذا الحرف إلى "ز" وبذلك يستقيم المعنى ويمكن التعرف بسهولة على نوعية هذه المربة.

ننتقل للسؤال الثانى هل الحملة الإعلانية عن هذه المربة هى نفسها التى صنعت الرغبة فى التخن عند الناس أم أن الرغبة فى التخن هى التى أدت لوجود السلعة والحملة الإعلانية؟ بمعنى أدق، هل خلقت الحملة الإعلانية طاقة الطلب على السلعة أم أن السلعة نفسها كانت مطلوبة فاستجاب الناس لحملة الدعاية عنها؟

هذا أيضا لايفسر ماحدث؟!

أنا شخصيا أثق بمدرسة التحليل النفسى، وأعتقد أن سلوك البشر تفسره مصطلحاتهم والألفاظ التى يستخدمونها فى الحياة اليومية. تأمل هذه المصطلحات.. إنت فاكر نفسك تخين؟يعنى هل تتوهم فى نفسك القوة الزائدة؟

أو "إنت مستتخن نفسك؟ يعنى هل أنت مصاب بأوهام القوة؟ أو التخين فيكم يطلع لى بره يعنى من يتوسم فى نفسه القوة فليأت وينازلنى..أو أنا مايهمنيش أتخن تخين فى الحتة دى.. يعنى أنا لا أكترث بأقوى الأقوياء فى هذه المنطقة.. نخلص من ذلك إلى:

أن "التخن"فى اللاوعى الجمعى عند المصريين، يعنى القوة.

وبذلك يمكن تفسير ماحدث بمايلى:

فى نفس الفترة التى ظهرت فيها تلك المربة كانت الصيحة على الأرض هى الكيانات الضخمة، والأفكار الضخمة، والانتصارات الضخمة، والهزائم الضخمة، والأشخاص الذين يتسمون بالضخامة وتبعا لذلك، تكون الرغبة فى زيادة الوزن هى استجابة لاواعية للرغبة فى الضخامة، كل شخص يريد أن يكون ضخما هائل الحجم، كان البشر يشعرون فى أعمق أعماقهم أن لاأهمية لهم. يعنى لاوزن لهم، من هنا جاءت تلك الرغبة القوية فى التخن والتى تنبه لها أذكياء العطارين واستغلوها أفضل استغلال.

أما الآن فالبشر جميعا يشعرون أنهم جميعا فى حلبة سباق قاس لايرحم، وأدركوا أن زيادة حساباتهم فى البنوك هى الوسيلة الوحيدة لزيادة وزن الإنسان وأهميته، لذلك أصبحت الصيحة السائدة هى "خف تعوم"وخد الفلوس وأجرى بل وظهرت على السنة المصريين كلمة جديدة لأول مرة فى التاريخ وهى كلمة "فلسع"بمعنى هرب بسرعة البرق، والاسم منها "فلسعة".

كل شئ فى الحياة الآن يدفعك لأن تكون خفيف الحركة، نتيجة لذلك، ظهر نوع جديد من الطب فى مصر هو طب التخسيس. وهو فرع مربح للغاية، كل جرام ينقص من وزنك يتحول إلى جرام من الذهب فى جيب الطبيب.

الآن أصبح التخن مكلفا للغاية، فكل كيلو جرام يضاف إلى جسمك يعنى اضطرارك لشراء ملابس جديدة والتخلى عن ملابسك القديمة، كل طبق مكرونة سيضطرك لشراء قميص جديد، وكل كيلو كباب سيرغمك على شراء بنطلون جديد.

أنا بالطبع أتحدث عن هؤلاء الذين يتعاملون مع المكرونة والكباب وبقية النشويات والدهون والحلويات، أما ما عداهم فأنا أنصحهم على مسئوليتى بألايمتنعوا عن أكل أى شئ وبأى كمية فى أى ظرف وأى وقت مهما كانت العواقب.

عجول متعددة الرؤوس

هذا الكتاب ..

منعش للعقول وقاتل للعجول. لأن الضحك عند على سالم علاج وسلاح، وهو مركز بوجه خاص على الصراع الأبدى بين العجول وأصحاب العقول.

هو كاتب من الحرس القديم فى ميدان الفكاهة، قادر على تحويل نيران الغضب فى صدر القارىء إلى إحساس لطيف بالبهجة، وقادر بقلمه الرشيق على إصابة العجول فى مقتل، لذلك يحبه أصحاب العقول وتفزع منه العجول ذات الرأس الواحد أو متعددة الرؤوس.

الناشر

